

مجلة جامعة أم القرى
لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية
الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jill

الدين مفهومه ونشأته

The Religion concept and the emergence

أسماء بنت داود أحمد العلواني[أ،*]

Asma Dawood Ahmad Alalwani [a,*]

[أ] قسم الدراسات الإسلامية، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، جامعة جدة، جدة، المملكة العربية السعودية.

[a] Department of Islamic Studies, Facult of the holy Quran and Islamic Studies, University of Jeddah, Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia.

تاريخ الاستلام:٢٨/٠٤/٢٠٢١ تاريخ القبول: ٢٨/١٠/٢٠٢١

Received: 28/04/2021 Accepted: 28/10/2022

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة على رسول الله، وبعد: تبرز أهمية هذا الموضوع في تناوله لشبهٍ هي مما يرتكز الفكر الإلحادي المعاصر عليه، ويتم إثارتها في ظل الانفتاح الإعلامي المعاصر، بتسريب الأفكار الصحيحة والفاسدة تحت موضوعاتٍ مختلفة لا تتعلق بالدين مباشرة، كالتربية والاقتصاد والتاريخ والأخلاق؛ فيصاغ مفهوم الدين والحديث عن نشأته بطريقة تتنافى مع العقيدة الصحيحة، مما يوقع المرء في الالتباس بين الحق والباطل، خصوصاً مع غياب حس النقد لكل فكر وافد عند بعض المسلمين، ويزداد الأمر سوءاً مع ضعف حصانتهم الإيمانية والفكرية عن مواجهتها، فكان التصدي لهذه الهجمات من أهم دواعي الكتابة في هذا الموضوع لبيان الحق، والكشف عن الباطل، وقد تناول البحث ذلك من خلال بيان مفهوم الدين ونشأة التدين والباعث عليه، وكان من أبرز نتائجه: بيان خطأ طروحات الباحثين الغربيين في الباعث على تدين الإنسان، وذلك لبنائهم أقوالهم على الظنون، وأن الحق الذي دل عليه الوحي هو أن التدين أمر فطري جبلي، لا يملك الإنسان دفعه، كما أن الفطرة إذا سلمت من العوارض وجاءتها المذكرات اهتدت إلى الحق، وإن حرفتها الطوارئ عنها ضلت إلى أديان الضلالة؛ ولذلك فإننا نجد التدين ظاهرة عامة عند كل الشعوب في كل الأماكن والأزمنة، كما تناول البحث ما يتعلق ببداية التدين، وهل الأصل في البشرية هو التدين ثم وقع الانحراف، أم الأصل هو الشرك، ثم وصل الإنسان إلى التوحيد، وأوضح طرق الاستدلال الفاسدة والصحيحة في هذه المسألة، مبيناً بالدلائل أن التوحيد هو الأصل في البشرية، وأن الشرك طارئ عليها، وأن الرسل أرسلوا لرد البشرية إلى الأصل الذي كانت عليه.

الكلمات المفتاحية: *الدين- الوثنية – التوحيد – التوتمية – الفطرة – التدين.*

Abstract

Praise be to Allah and prayers be upon the Messenger of Allah, and thereafter. The importance of this topic emerges in its handling of the ambiguities which contemporary atheistic thought is based upon. These ambiguities are exacerbated by today's media openness, which exposes correct and corrupt ideas under a variety of topics unrelated to religion, such as education, economy, history, and morals; as a result, the concept of religion and its origins are formulated in a way that contradicts the correct doctrine. It leads to a confusion between truth and falsehood, especially among Muslims who lack a sense of critical thought. The subject becomes worse when faith and intellectual immunity are weakened and unable to withstand confrontations. Therefore, confronting these attacks was one of the most important reasons for writing this research, to clarify the truth and reveal the falsehood.

The research delved into it by explaining the concept of religion and the emergence of religiosity and its stimulants. One of the most prominent results is as follows: elucidation of flaws in Western scholars' hypotheses about the motivation for human religiosity, as their statements were based on assumptions. However, as the revelation indicates, religiosity is intrinsic. If this instinct is spared from conflicting exposures while positive reminders are present, it will be led to the truth. Similarly, if deviations occur, astray it goes, lead to religions of misguidance. As a result, we discover that religiosity is a universal phenomenon that exists among all people in all places and periods. The research also dealt with matters related to the beginning of religiosity. Posing the following questions: is religiosity the origin of humanity, then deviances occurred, or is the origin polytheism, then followed by monotheism? Furthermore, the corrupt and correct ways of inference are presented to demonstrate with evidence that monotheism is intrinsic in humans and polytheism is an external occurrence. As such, prophets were sent to return humanity to its original state.

Keywords: *Religion - Paganism - Monotheism - Totemism- Instinct - Religiosity*

المقدمة

الحمد لله الذي ارتضى لنا خير دين، دين الإسلام الذي جاء به جميع المرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خاتم المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين وسلم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن مما لا يخفى على الناظر في واقع كثير من المسلمين اليوم ما هم فيه من ضعف مكّن أعداءهم من التكالب والتداعي عليهم من كل حدب وصوب، فغزوهم بالسلاح تارة، كما غزوهم بالفكر تارة أخرى، وطالوا بالتشكيك كثيراً من مسلماتهم، واستهتروا بمقدساتهم، وما ذاك إلا لأن بعض المسلمين تساهلوا في أمر دينهم، وضعف تمسكهم به عقيدة وشريعة وأخلاقاً، فسهل على عدوهم الطريق إليهم، ولذا لن يتحقق للمسلمين العزة والنصر والتمكين

* بيانات التواصل:
قسم الدراسات الإسلامية، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، جامعة جدة، جدة، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: (adalalwani@uj.edu.sa) أسماء داود أحمد العلواني

إلا بمعرفة دينهم، والتمسك به، ثم معرفة عدوهم في ضوء معرفتهم لدينهم والسير على هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وتزداد أهمية هذه المعرفة في ظل الانفتاح الإعلامي الذي نشهده اليوم، وخصوصاً عبر شبكة الانترنت بكل تطبيقاتها حيث باتت تتسرب من خلالها الأفكار الغثة والسمينة، الطالح منها والصالح بسرعة متناهية مع غياب حس النقد والتمحيص لكل فكر وافد عند بعض مستخدمي تطبيقات الشبكة من المسلمين، ويزداد الأمر سوءاً مع ضعف حصانتهم الإيمانية والفكرية عن مواجهتها، ويكمن شرر هذا الخطر في مخالفة تلك الأفكار الوافدة لعدة مفاهيم إسلامية ثابتة وكونها تعمد إلى تشويهها والطعن فيها من مثل ما يتعلق بمفهوم الدين ونشأته من أفكار واتجاهات، فكان التصدي لهذه الهجمات من أهم دواعي الكتابة في هذا الموضوع، تحت عنوان: **الدين مفهومه ونشأته**؛ لبيان الحق وما دل عليه وتقريبه، والكشف عن الباطل وما استند إليه؛ نصرةً للحق وتوعيةً للأمة أولاً، ودعوةً للهدى في حق غير المهتدين ثانياً.

مشكلة البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة المبنية على الأدلة عن سؤال رئيس هو: ما هو مفهوم الدين؟ وكيف نشأ؟، ويتفرع عن هذا السؤال عددٌ من الأسئلة هي:

١- ما هو مفهوم الدين في القرآن الكريم والسنة المطهرة؟ وهل يختص إطلاقه بالدين الحق؟ أم يطلق على كل ما يتدين به؟.

٢- وما هو مفهوم الدين في الاصطلاح عند المسلمين وغير المسلمين؟ ولم تعددت وتباينت تعريفاته؟.

٣- وما هو الباعث الحقيقي على التدين؟.

٤- وكيف يمكن الرد على فرية الملاحدة أن الناس هم من اخترعوا الأديان؟.

٥- وهل يتطور الناس في أديانهم من الشرك إلى التوحيد أو بالعكس؟ وعلى أي دين كان البشر الأوائل؟.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

١- تناوله لشبهٍ وطروحات يرتكز عليها الفكر الإلحادي المعاصر، وغيرها من الشبه التي تمس عقيدة المسلم ويتم إثارتها تحت موضوعاتٍ مختلفة مما يقع فيه اللبس بين الحق والباطل.

٢- حاجة كثيرٍ من المسلمين لبيان الحق وتجليته في موضوع البحث والتباس بعض قضاياه عليهم في ظل بعض الاكتشافات الحديثة.

٣- تكرر إثارة عددٍ من الشبهات القديمة المتعلقة بالموضوع، وصياغة نفس تلك الشبهات بصياغات جديدة، بما يقتضي بيان ذلك والتصدي له.

أهداف البحث:

١- تحقيق جانب من الوعي والعلم بموضوع الدين ونشأته، والبصيرة بما يدور حول المسلم من الآراء والاتجاهات التي تعصف بأمته من جهة وبالعالم أجمع من جهة أخرى، فالصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله في خلقه، والحق ينصره من يعرفه ويعمل به ويدعو إليه.

٢- تنبيه المسلمين إلى خطورة ما يثيره أعداء الدين من التشكيك في بعض المسلَّمات المرتبطة بدينهم ليكونوا على حذر، خصوصا عند القراءة في كتب لا تتعلق بالدين مباشرة، ككتب التربية والاقتصاد والتاريخ والأخلاق؛ لكنها تصوغ مفهوم الدين وتتحدث عن ظهوره ونشأته في ثوب تربوي، أو اقتصادي، أو تاريخي، أو أخلاقي، أو اجتماعي بما يتنافى مع العقيدة الصحيحة.

٣- الردّ على الشبهات التي تسللت عبر وسائل الإعلام التقليدية أو الحديثة بما يبين حقيقتها ويعين على التصدي لها، وكشف أوجه التباس الشبه على المتلقي وكيفية تفنيدها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري عما كتب في هذا الموضوع فإنني لم أقف على كتاب لعلمائنا الأقدمين في خصوص هذا الموضوع، وإنما قد يتعرضون لبعض جوانبه عند تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية، أو شرحهم لبعض الأحاديث النبوية، وخاصة عندما يتحدثون عن ماهية الفطرة وما يتعلق بها.

وأما في العصر الحديث فقد كتب الباحثون الغربيون عدة كتب تتعلق بمفهوم الدين ونشأته تعتمد غالباً على استنتاجاتهم مما كشفته البحوث الأثرية من آثار الأمم السابقة، أو ما أظهرته الاستكشافات الحديثة لبعض المناطق في الأرض التي يوجد بها أناس متخلفون في التعلم، وقد اطلعت على أهم كتابين غربيين بحثا موضوع الدين ضمن بحثهما لتاريخ الحضارة الإنسانية، وهما: قصة الحضارة للمؤرخ الأمريكي "ول وايريل ديورانت"، ومعالم تاريخ الإنسانية للمؤرخ الإنجليزي "هـ. ج.ولز" وإليهما يرجع كثير ممن كتب من الغربيين في ذات الموضوع.

وأما الكتب العربية التي بحثت هذا الموضوع في العصر الحديث فيأتي في طليعتها كتاب: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان للدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله، وهذا الكتاب - في نظري - يعتبر عمدة الكتب العربية التي بحثت هذا الموضوع، فلم أقف على كتاب عربي جاء من بعده وبحث هذا الموضوع إلا وهو يعتمد عليه، وقد اطلعت على هذا الكتاب، وهو مرجع أساسي في هذا البحث، ويليه من حيث الأهمية كتاب: نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة للدكتور علي سامي النشار، فإنه كذلك مرجع أساسي في هذا الموضوع، وبعد هذه الكتب فإن المكتبة العربية قد زخرت بكتب تبحث في الدراسة المقارنة للأديان، وتلك الكتب تقدم بمقدمة تطول أو تقصر عن مفهوم الدين، وعن نشأته، والنظريات في ذلك، وللقارئ الكريم أن يطلع على ما اطلعت عليه منها في فهرس المصادر والمراجع الملحق بهذا البحث.

ويأتي هذا البحث ليكون محاولةً لجمع ما ذكرته المراجع آنفة الذكر وغيرها في خصوص موضوعاته، مع الإيجاز والتركيز والتنظيم، وإضافة العديد من الأدلة الشرعية النقلية والأدلة العقلية، التي يتبين بها الحق في موضوع نشأة الدين، وباعثه، وأسبقية التوحيد بكل جلاء، ويسقط استدلالات المخالفين في الموضوع من الغربيين ومن تأثر بهم.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وفيها: أهداف البحث وأهميته، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

المبحث الأول: مفهوم الدين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدين في اللغة.

المطلب الثاني: الدين في النصوص الشرعية.

المطلب الثالث: الدين في الاصطلاح.

المبحث الثاني: نشأة الدين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الباعث على التدين.

المطلب الثاني: الأصل في الدين.

الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث

ثم فهرس المصادروالمراجع.

المنهج المتبع في البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي فيما يتعلق ببيان مفهوم الدين في النصوص الشرعية، حيث رجعت إلى جميع النصوص القرآنية التي ذكرت مادة الدين وإلى جملة من أبرز الأحاديث النبوية الشريفة التي حوت مفرداتها ذات الكلمة للتأصيل وبيان مفهوم الدين من خلالها.

أما في بقية البحث فقد اتبعت منهج العرض والنقد، سواء في بيان مفهوم الدين في اللغة والاصطلاح، أو في بيان النظريات والأقوال في نشأته، واستخلصت من مجموع ما اطلعت عليه ما كتبته عن اختلاف الباحثين في المفهوم والنشأة، وأعقبت ذلك بذكر النقد، ثم خلصت بعد ذلك إلى بيان ما رأيته راجحا، مراعية في كل ذلك قواعد البحث العلمي المتعارف عليها.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

المبحث الأول: مفهوم الدين

المطلب الأول: الدين في اللغة:

وردت كلمة الدين في اللغة بعدة معان، ولعل هذه الكلمة من أوسع الألفاظ العربية وأثراها معنى واستعمالا، "والدين بالكسر: الجزاء، وقد دِنته -بالكسر- دَيناً، وبكسر، والإسلامُ، وقد دِنت به -بالكسر- والعادة، والعبادة، والمواظب من الأمطار...، والطاعة...، والذل، والداء، والحساب، والقهر، والاستعلاء، والسلطان، والملك، والحكم، والسيرة، والتدبير، واسمٌ لجميع ما يُتعبد الله به، والملة، والورع، والمعصية.. والحال والقضاء.. ودان يدين: عز، وذل، وأطاع، وعصى، واعتاد خيرًا، أو شرًا، وأصابه الداء، وفلاناً: حمله على ما يكره، وأذله، ودينه تدييناً: وكله إلى دينه"[1]، ومن معاني الدين أيضاً الانقياد، والخضوع[2].

ويقال: دان يدين ديناً، وتدين تديناً، وديانة، والديانة النِّحلة، والطاعة والانقياد[3].

ومما تقدم نرى أن كلمة الدين ومادتها استعملت في اللغة في سياقات عديدة، ومن هذه الاستعمالات ما يكون راجعاً إلى معان متقاربة، ومنها ما يكون راجعًا – في الظاهر- إلى معان متضادة متباعدة؛ ولأجل هذا قال بعض الباحثين في مفهوم الدين: "إنه ليس من اليسير تحديد معنى الدين لغوياً"[4]، لأنها كلمة تدل على المعنى وضده، وتطلق على المعاني المتباعدة والمتضادة[5]، غير أن اللغوي ابن فارس ارتضى أن "الدال والياء والنون أصلٌ واحد، إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل، فالدين الطاعة، يقال: دان له، يدين، ديناً، إذا أصحب وانقاد وطاع"[6]، ثم ردَّ كل ما ذكره من تصريفات الكلمة إلى هذا المعنى فقال: "وقوم دين، أي: مطيعون منقادون، والمدينة: كأنها مفعلة، سميت بذلك لأنها تقام فيها طاعة ذوي الأمر، والمدينة: الأمة، والعبد مدين، كأنما أذلهما العمل، فأما قولهم: إن العادة يقال لها: دين، فإن كان صحيحا فلأن النفس إذا اعتادت شيئا مرت معه وانقادت له، فأما قوله جل ثناؤه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [سورة يوسف، ٧٦]، فيقال: في طاعته، ويقال: في حكمه ومنه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، ٤] أي: يوم الحكم، وقال قوم: الحساب والجزاء، وأي ذلك كان فهو أمر ينقاد له، ومن هذا الباب الدَّين، يقال: داينت فلانا، إذا عاملته دينا، إما أخذاً وإما إعطاءً...، ويقال: دِنتُ وادَّنت، إذا أخذت بدين، وأدنت: أقرضت وأعطيت دينا... والدَّين من قياس الباب المطَّرد؛ لأن فيه كل الذُّل والذِّل، ولذلك يقولون: الدَّين ذلٌّ بالنهار، وغمٌّ بالليل"[7].

وقد يقال مثل ما قال ابن فارس رحمه الله في سائر المعاني الأخرى المذكورة سابقا، من كونها ترجع إلى الذل والانقياد والطاعة، وعلى سبيل المثال: فإن الملك دين؛ لأن المملوك يذل لمالكه وينقاد لأمره، والمعصية دين؛ لأن العاصي ينقاد لهواه، ويطيع نفسه وشيطانه، وما يتعبد به الإنسان دين؛ لأنه ينقاد له، والله أعلم.

ومن خلال الكلام المتقدم المنقول عن مقاييس اللغة - ونحوُه موجود في سواه من كتب اللغة - يمكن القول: إن الفعل: (دان) يأتي على ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يتعدى بنفسه فيقال: دنت فلاناً دينا، أي: حاسبته، أو جازيته، أو أذللته واستعبدته وقهرته على الطاعة، أو ملكته، أو حملته على ما يكره، أو سسته، أو خدمته وأحسنت إليه.

الثاني: أن يتعدى باللام فيقال: دان فلان لربه ديناً: أي أطاعه، وذل له وانقاد وخضع.

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي ١١٩٨. وانظر في هذه المعاني أو بعضها: العين للخليل بن أحمد ٧٣/٨-٧٤؛ تهذيب اللغة للأزهري ١١٣٦/٢-١١٣٨؛ مقاييس اللغة لابن فارس ٣١٩/٢-٣٢٠؛ المحكم لابن سيده ٣٩٩/٩-٤٠٠؛ المفردات للراغب الأصفهاني ١٨١؛ أساس البلاغة للزمخشري ٢٠٠؛ مختار الصحاح للرازي ١٩١؛ لسان العرب لابن منظور ١٦٧/١٣-١٧١؛ المصباح المنير للفيومي ٢٠٥/١؛ المعجم الوسيط ٣٠٧/١.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٣١٩/٢؛ المفردات للراغب الأصفهاني ١٨١؛ أساس البلاغة للزمخشري ٢٠٠.

(٣) انظر: المخصص لابن سيده ٢٢٨/٥؛ لسان العرب ٦٥٠/١١، ١٦٩/١٣.

(٤) التبيان في الفرق والأديان لمحمود حمودة ١٣.

(٥) انظر المرجع نفسه.

(٦) مقاييس اللغة ٣١٩/٢.

قال محمد عبد الله دراز رحمه الله في الدين ٣٠ بعد أن ذكر معاني كلمة الدين في اللغة: "الواقع أننا إذا نظرنا في اشتقاق هذه الكلمة ووجوه تصريفها نرى من وراء هذا الاختلاف الظاهر تقاربا شديدا، بل صلة تامة في جوهر المعنى"؛ وانظر: دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٩.

(٧) مقاييس اللغة ٣٢٠/٢-٣١٩.

وقد يستعمل الفعل في هاتين الحالتين معاً فيقال: دانه فدان له، أي: قهره على الطاعة وأذله واستعبده فأطاع.

الثالث: أن يتعدى بالباء فيقال مثلا: دان فلانٌ بالإسلام ديناً، أي: دخل في الإسلام واتخذه ملةً وديناً يتعبد به، وينقاد لشريعته(٨).

وهذان المعنيان الواردان في الحالين الثاني والثالث قد وردا في أحد المواضع في القرآن الكريم من غير أن يتعدى الفعل باللام ولا بالباء، بل كان الفعل متعدياً بنفسه، وذلك في قول الله جل شأنه: { **قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون**} [سورة التوبة، ٢٩]، والشاهد من الآية قوله تعالى: {**وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ**} ومعناه عند جمعٍ من المفسرين: ولا يدينون بالدين الصحيح، ولا يدخلون في دين الإسلام الذي هو الحق، وما سواه من الأديان باطل(٩) ، وفسر الكلمة آخرون بالطاعة، فقالوا: إن المعنى: ولا يطيعون الله طاعة الحق، طاعة أهل الإسلام(١٠).

وبعد ما تقدم ذكره من معاني مادة كلمة الدين في اللغة فإن المقصود من تلك المعاني في هذا البحث هو ما يتدين به الإنسان ويتعبد، وهو راجعٌ إلى معاني الطاعة والانقياد والذل والخضوع والحال والطريقة، فإن الدين الذي يدان به، ويُتخذ ملةً وطريقةً للتأله والتعبد فيه معنى طاعة المعبود، والذل والخضوع والانقياد له.

قال الراغب الأصفهاني: "والدين يقال: للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة"(١١).

وذكر أبو عبيد أن من معاني دان: الذل والطاعة، ثم قال: "والدين لله تعالى من هذا، إنما هو طاعته، والتعبد له"(١٢).

وقال الدكتور محمد عبد الله دراز(١٣) بعد أن ساق الاشتقاقات اللغوية لمادة الدين ومعانيها: "وإذا قلنا: دان بالشيء كان معناه أنه اتخذه ديناً ومذهباً، أي: اعتقده، أو اعتاده، أو تخلَّق به، فالدين على هذا هو: المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً أو عملياً، فالمذهب العملي لكل امرئٍ هو عادته وسيرته، كما يقال: هذا ديني وديدني، والمذهب النظري عنده هو: عقيدته ورأيه الذي يعتنقه، وجملة القول في هذه المعاني اللغوية: إن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين، يعظم أحدهما الآخر، ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقيادا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً، وحكماً وإلزاماً، وإذا نظر بها إلى الرابط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها، ونستطيع الآن أن نقول: إن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد...

وكلمة الدين التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير، أحدهما: هذه الحالة النفسية التي نسميها التدين، والآخر... جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً أو عملاً، وهذا المعنى أكثر وأغلب"(١٤).

وجمع الدين أديان(١٥).

وبعد: فإن ما سطرته آنفاً في بيان معاني كلمة الدين في لغة العرب وتصريفاتها، وما نقلته في ذلك عن كتب اللغة ليظهر جلياً خطأ ما زعمه بعض المستشرقين من أنَّ كلمة الدين دخيلة على اللغة العربية، وأنها ليست عربية الأصل، ويقطع افتراءاتهم؛ فإنَّ تعدُّد تصاريف الكلمة، وكثرة صيغها، وتشعب استعمالاتهما يؤكد أصالتها في اللغة العربية(١٦).

المطلب الثاني: الدين في النصوص الشرعية:

من خلال استقراء جملة من نصوص الكتاب والسنة، ثم مطالعة ما تحدث به من كتب في هذا الموضوع نجد أمرين اثنين:

أحدهما: أن كلمة الدين وتصريفاتها قد وردت في الكتاب والسنة بجملة من المعاني.

والثاني: أن كلمة (دين) التي تعني الملة والطريقة والشرع والمنهاج أطلقت في النصوص الشرعية في بعض الأحيان مراداً بها الدين الحق الصحيح، وأطلقت أحيانا مراداً بها الدين الباطل.

فأما الأمر الأول فقد وردت كلمة الدين وتصريفاتها بالمعاني الآتية:

١- الدين بمعنى الشرع والملة والطريقة والمذهب والعادة والتقليد، أي: ما يدين الإنسان به، ومن شواهد هذا المعنى قول الله تعالى: {**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**}[سورة آل عمران، ١٩]، وقوله جل شأنه: {**وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمون**}[سورة البقرة، ١٣٢]، وقوله: {**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين**}[سورة الكافرون، ٦](١٧).

---

(٨) انظر في هذه الأحوال والمعاني أو بعضها: العين للخليل بن أحمد ٨/ ٧٨؛ تهذيب اللغة للأزهري ١١٣٩/٢–١١٣٨؛ مقاييس اللغة لابن فارس ٣١٩/٢–٣٢٠؛ المحكم لابن سيده ٣٩٨/٩–٤٠٠؛ أساس البلاغة للزمخشري ٢٠٠؛ مختار الصحاح للرازي ١٩١؛ لسان العرب لابن منظور ١٦٧/١٣–١٧٠؛ المصباح المنير للفيومي ١ /٢٠٥؛ القاموس المحيط للفيروزآبادي ١١٩٨؛ المعجم الوسيط ١/ ٣٠٧.

وانظر أيضا من غير كتب اللغة: الدين لعبد الله دراز ٣٠–٣١، فقد فصل في المفهوم اللغوي لكلمة الدين، وبعض أحوال الفعل دان من حيث التعدي بنفسه، والتعدي بغيره؛ وانظر: دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٩–١٢.

(٩) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٨؛ المفردات للراغب الأصفهاني ١٨١؛ معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٢٨٢؛ التسهيل لابن جزي ٧٤/٢؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٤٨/٢ ؛ تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣٣٤.

(١٠) انظر: جامع البيان للطبري ١٠٩/١٠؛ معالم التنزيل للبغوي ٢٨٢/١.

(١١) المفردات ١٨١.

(١٢) غريب الحديث ١٣٥/٣؛ وانظر: لسان العرب لابن منظور ١٦٩/١٣.

(١٣) هو محمد عبد الله دراز المصري الأزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، نشرت له بحوث في مجلة الأزهر، ونشر له بعد وفاته جملة من الكتب منها: النبأ العظيم، والدين، وغيرها، ت: (١٣٧٧هـ). انظر ترجمته في: معجم المؤلفين المعاصرين لمحمد خير رمضان ٢ /٦٤٨.

(١٤) الدين ٣١–٣٢؛ وانظر: دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ١٢–١٣.

(١٥) انظر: العين للخليل بن أحمد ٧٣/٨؛ المحكم لابن سيده ٣٩٩/٩؛ مختار الصحاح للرازي ١٩١؛ لسان العرب لابن منظور ١٦٩/١٣؛ تاج العروس للزبيدي ٥٣/٣٥؛ المعجم الوسيط ١/ ٣٠٧.

(١٦) انظر نقل هذا الزعم عن المستشرقين ورده في: الدين لمحمد عبد الله دراز ٣٢؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٨.

(١٧) انظر: جامع البيان للطبري ٥٦١/١؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٣٩/١؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣/٤، ٢٢٩/٢٠؛ مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٦٠/٧، ٥٤٣/١٦، ٥٣٦/٢٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٥/١ ، ٥٦١/٤؛ إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٨/٢، ٢٠٧/٩؛ تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٦٧؛ أضواء البيان للشنقيطي ٤٤/١.

٢- الدين بمعنى العبادة، ومن شواهد هذا المعنى قول الله تعالى: **{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}**[سورة الأعراف، ٢٩]، وقوله: **{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّين}**[سورة الزمر، ١١][١٨].

٣- الدين بمعنى الطاعة والذل والخضوع، ومن شواهده قول الله جل وتعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ}** [سورة النساء، ١٢٥]، أي: لا أحد أحسن طاعة ممن أسلم وجهه لله على أحد القولين في معنى كلمة دين، والقول الآخر: أن الدين هنا راجع للمعنى الأول، ومن شواهده أيضاً قوله تعالى: **{وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا}**[سورة النحل، ٥٢] أي: وله الذل والطاعة الدائمة جل وعلا[١٩].

٤- الدين بمعنى الحكم والحساب والجزاء، ومن شواهده قوله تعالى: **{مَالِكِ يَوْمِ الدِّين}**[سورة الفاتحة،٤]، وقوله: **{وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِع}**[سورة الذاريات، ٦][٢٠].

وأما الأمر الثاني - وهو إطلاق كلمة الدين في النصوص الشرعية على الدين الحق، وعلى الدين الباطل[٢١] – فقد جاء في النصوص الشرعية إطلاق لفظة الدين على الدين الحق، دين الإسلام والتوحيد والبعد عن الشرك، وهو الدين الذي أوحى به الله تعالى إلى رسله، وهو الاعتقاد الصحيح الذي لا يقبل الله غيره، وذلك في نصوص منها قول الله تعالى: **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ}** [سورة آل عمران، ١٩] [٢٢]، وقوله تعالى: **{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ}**[سورة الشورى، ١٣]، "والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له... وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم"[٢٣]، ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه: (أمهاتهم شتى، ودينهم واحد)[٢٤]، أي: أصل الدين، وهو التوحيد والطاعة[٢٥].

وجاء في النصوص الشرعية أيضا إطلاق كلمة الدين خصوصا على الدين الحق، دين الإسلام الذي جاء به نبينا محمد من ربه تبارك وتعالى، بما يشمل عقيدته وشريعته، وذلك في نصوص منها قوله تعالى: **{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ }**[سورة التوبة، ٣٣]، وقول الله تعالى: **{فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ}**[سورة التوبة، ١١]، وجاء في حديث جبريل المشهور بعد سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، أنه لما انصرف قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فإنه جبرئيل، أتاكم يعلمكم دينكم)[٢٦].

والملاحظ في النصوص التي أطلقت لفظة (دين) على الدين الحق أنها جاءت على أحوال أربعة:

أ - إطلاق لفظ (الدين) معرفاً بالألف واللام، وقد يأتي على هذا النحو مجرداً من الأوصاف، كقوله تعالى: **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ}**[سورة آل عمران، ١٩]، وقد يوصف بكونه قيماً، أو نحو ذلك كما في قوله تعالى: **{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}** [سورة يوسف، ٤٠].

ب- إطلاق لفظة دين منكرة غير مضافة، وذلك في مواضع منها قوله تعالى: **{وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}** [سورة المائدة، ٣]، وقوله جل شأنه: **{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}** [سورة الأنعام، ١٦١].

ج - إطلاق لفظة (دين) مضافة إلى الله تعالى، كقوله تعالى: **{أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يبغون}** [سورة آل عمران، ٨٣]، وقوله جل شأنه: **{وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا}** [سورة النصر، ٢].

د - إطلاق لفظ دين مضافاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى المؤمنين، أو إلى الحق، أو القيمة، كما في قوله تعالى: **{وَلِيَ دِينِ}** [سورة الكافرون، ٦]، وقوله تعالى: **{وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ}**[سورة التوبة، ١٢]، وقوله سبحانه: **{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ }**[سورة التوبة، ٣٣]، وقوله جل شأنه: **{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة}** [سورة التوبة، ٥].

(١٨) انظر: جامع البيان للطبري ١٥٦/٨، ٢٠٤/٢٣؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٣/١٥؛ مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٧٦/١٤؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٩/٢، ٤٩/٤؛ تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٨٦؛ أضواء البيان للشنقيطي ٣٥٢/٦.

(١٩) انظر: جامع البيان للطبري ٢٩٧/٥، ١١٨/١٤؛ المفردات للراغب الأصفهاني ١٨١؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩٩/٥، ١١٤/١٠؛ مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤/ ٤٢٦ - ٤٢٩؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٥٨/١-٥٦٠؛ تاج العروس للزبيدي ٥٤/٣٥ ؛ تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٠٦، ٣٣٤؛ أضواء البيان للشنقيطي ٣٨٣/٢.

(٢٠) انظر: جامع البيان للطبري ٦٨/١، ١٨٨/٢٦؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٩/١؛ مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢٠/١٣؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦/١، ٢٣٣/٤؛ تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٠٨؛ أضواء البيان للشنقيطي ٤٩١/٥، ٤٣٦/٧.

(٢١) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ٣٧؛ دراسات في الأديان لسعود الخلف ١٠؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٣٤- ٣٥؛ موسوعة الأديان الميسرة ٢٥٤.

(٢٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣/٤؛ مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٦٠/٧؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٥/١، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٨/٢.

(٢٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١٠/٤؛ وانظر: جامع البيان للطبري ١٥/٢٥؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/١٦؛ مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤/١.

(٢٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح (٢٨١ح٣٤٤٣)؛ ومسلم في المسند الصحيح (١٠٩٣ ح٢٣٦٥).

(٢٥) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٠/١٥؛ بدائع الفوائد لابن القيم ٧١٩/٣؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١٠/٤؛ فتح الباري لابن حجر ٤٨٩/٦، معارج القبول لحافظ حكمي ٢ / ٤٠٢؛ أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٤٨٥.

(٢٦) رواه مسلم في المسند الصحيح (٦٨١ح٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وروى قريباً منه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري في الجامع الصحيح (٦ح٥٠)؛ ومسلم في المسند الصحيح (٦٨١-٦٨٢ح ٩).

والحالتان الأخيرتان من هذه الحالات خاصة بالدين الحق، وأما الحالة الأولى وهي إطلاق لفظ (الدين) معرفا بالألف واللام فهي كذلك في أغلب أحوالها، وقد تأتي بعض الآيات التي ترد فيها اللفظة معرفة بالألف واللام مراداً بها الدين الباطل، وسيأتي ذكر ذلك، وكذلك الحالة الثانية، فقد أتت في القرآن في موضع مرادا بها الدين الباطل كما سيأتي.

وفي مقابل ما تقدم من ورود لفظة الدين في النصوص الشرعية مراداً بها الدين الصحيح فقد جاء في النصوص الشرعية إطلاق لفظة (دين) على الأديان الباطلة التي لم ينزل الله تعالى بما سلطاناً، كما في قوله تعالى: **{لكم دينكم}** [سورة الكافرون، ٦].

والملاحظ في النصوص القرآنية التي أطلقت لفظة (دين) على الأديان الباطلة أن الكلمة وردت فيها إما منكرة غير مضافة وذلك في موضع من القرآن هو قوله تعالى: **{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين}** [سورة آل عمران، ٨٥]، وإما مضافة إلى غير المسلمين، من أهل الكتاب والمشركين وغيرهم، كما في قوله تعالى: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ}** [سورة النساء، ١٧١]، وقوله تعالى: **{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَاد}** [سورة غافر، ٢٦]، وقوله تعالى: **{لكم دينكم}** [سورة الكافرون، ٦]، وإما معرَّفةً بالألف واللام، مقرونة بما يدل على الدين الباطل، كما في قوله تعالى: **{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كله }**[سورة التوبة، ٣٣]، أي: "ليعليه على سائر الأديان"[٢٧]، "ليعليه على جنس الدين بجميع أفراده التي هي الأديان المختلفة"[٢٨]، وكما في قوله جل شأنه: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ}** [سورة الشورى، ٢١]؛ فإن الدين الذي لم يأذن به الله هو دين الباطل والشرك الذي شرعوه لأنفسهم بأهوائهم وشرعه لهم شياطينهم من الإنس والجن[٢٩]، وجاء في السنة المطهرة وفي أقوال الصحابة رضي الله عنهم إطلاق لفظة (دين) على الأديان الباطلة، وذلك كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه عن صلاة العشاء لما أخرها إلى ثلث الليل: (إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم)[٣٠]؛ فكلمة (دين) في الحديث تشمل الدين الحق والباطل، وكما في قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم قبل أن يسلم: (يا عدي بن حاتم: أسلم تسلم) ثلاثاً، قال عدي: قلت: (إني على دين)، قال: (أنا أعلم بدينك منك)، فقلت: (أنت أعلم بديني مني؟)، قال: (نعم ألست من الركوسية[٣١] ؟ وأنت تأكل مرباع قومك؟)، قلت: بلى، قال: (فإن هذا لا يحل لك في دينك) الحديث[٣٢]، وكما في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: (استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل... هادياً خريتاً[٣٣]... وهو على دين كفار قريش) [٣٤]، وقول ثمامة بن أثال للنبي صلى الله عليه وسلم لما أسلم: (يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلي...) [٣٥]، وقول أبي موسى الأشعري عن رجل ارتد: (هذا كان يهوديا فأسلم، ثم راجع دينه دين السوء فتهود)[٣٦].

ومما تقدم يتضح ويتبين كل البيان أن كلمة (دين) تطلق في النصوص الشرعية على الدين الحق، وعلى الدين الباطل، لكنها إذا أطلقت أريد بها الدين الحق، وإذا أريد بها الدين الباطل قرنت بما يدل عليه، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: الدين في الاصطلاح:

كما كانت كلمة الدين متعددة المعاني من الناحية اللغوية فإن المعنى الاصطلاحي قد تعددت آراء الباحثين حوله، وتباينت تعريفات المعرفين للدين تبايناً كبيراً[٣٧]، حتى لقد قال بعض الباحثين في مفهوم الدين: إن وضع تعريف محدد شامل جامع للسمات المميزة للدين، مقبول من الجميع هو أمر شديد الصعوبة، أو مستحيل[٣٨].

ومرجع التعدد والاختلاف في تعريف الدين هو اختلافُ النظرة التي ينظر منها كل واحد من المعرِّفين إلى الدين ومميزاته، وكثرةُ الديانات واختلافها اختلافاً واسعا، واختلاف مفاهيم المتدينين من المعرفين وغيرهم وتصوراتهم عن ماهية الدين حسب اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ودينهم[٣٩]، ويمكن أن يوضَّح ذلك بأن يقال: إن تعريف علماء المسلمين يختلف عن تعريف غير المسلمين، وتعريف علماء الاجتماع يختلف عن تعريف علماء الفلسفة.

لكنني في هذا البحث -ومبناه على الاختصار- سأضرب صفحاً عن تفصيل التعريفات التي عرَّف بها غير المسلمين الدين؛ لمناسبة المقام، ويكفي -في ظني- أن أذكر هنا خلاصة ما توصل إليه من خاض في تلك التعريفات، وأن أشير في الهامش إلى بعضها، ثم أحصر كلامي بعد ذلك في تعريف الدين في اصطلاح علماء المسلمين.

فأما التعريفات غير الإسلامية للدين فإنها رغم كثرتها المفرطة حتى لـ"يكاد يكون لكل كاتب عن الدين تعريف وتصور عن الموضوع يختلفان عما لسواه"[٤٠]، إلا أنه يمكن تلخيص مؤداها في أن الدين خضوعٌ مقيد، وليس خضوعاً مجرداً.

ثم نحت تلك التعاريف مناحي شتى، فمنها ما يحصر مسمى الدين في نطاق الأديان السماوية والاعتقاد بمعبود واحد، ومنها ما يحدد الدين في

(٢٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣٣؛ وانظر: جامع البيان للطبري ١٠/١١٦؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٥٠.

(٢٨) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١١٤.

(٢٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/١٩؛ مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/٨٦؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/١١٢؛ تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧٥٧.

(٣٠) رواه مسلم في المسند الصحيح (٧٧٦ ح ٦٣٩).

(٣١) الركوسية: دين بين النصارى والصابئين وكانت من ديانات العرب. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٨٧؛ النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٩٥.

(٣٢) حديث صحيح. رواه أحمد في المسند (٣٠/١٩٦ ح ١٨٢٦٠).

(٣٣) الخريت هو: الدليل الحاذق الماهر بالهداية. انظر: الجامع الصحيح للبخاري ١٧٥؛ مشارق الأنوار للقاضي عياض ١/٢٣٢؛ القاموس المحيط للفيروزآبادي ١٥١.

(٣٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح (١٧٥ح٢٢٦٣).

(٣٥) رواه مسلم في المسند الصحيح (٩٩١ح١٧٦٤).

(٣٦) رواه مسلم في المسند الصحيح (١٠٠٥ ح ١٧٣٣).

(٣٧) انظر: التبيان لمحمود حمودة ١٤.

(٣٨) انظر: دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ١٧.

(٣٩) انظر المرجع نفسه ١٧-١٩.

(٤٠) المرجع نفسه ١٩.

الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها، ومنها ما يفصل الدين عن العقل، ويرى أن الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، ومنها ما يعرِّف الدين بأنه الشعور بالحاجة والتبعية لقوة قاهرة، ومنها في المقابل من يحذف فكرة الإله المعبود، ويرى أنه يكفي في الدين أن يكون مجموعة من التورعات التي تقف حاجزاً أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا، أو مجموعة من الاعتقادات والأعمال التي تضم أتباعها في وحدة معنوية، وعليه فيمكن أن يكون الدين قائماً على الأخلاق البحتة المجردة عن العبادة(٤١).

لكن كل تلك التعريفات تجانب الصواب لما يلي:

إما لكونها تحصر الدين في نطاق أضيق من نطاقه؛ إذ نحن هنا لا نريد تعريف الدين الصحيح فحسب، بل نريد تعريف الدين من حيث هو.

أو لكونها تركز على جانب من جوانب مفهوم الدين، وتغفل عن بعض أركانه الأساسية كالعبادة والإلهية، أو احترام العقل.

أو لكونها تعريفات من زاوية ضيقة شخصية، تعرف الدين من خلال ديانات المعرفين، لا من الناحية الموضوعية من خلال اعتبار الدين حقيقة إنسانية عامة.

أو لكونها تجعل الدين شعوراً بالحاجة والخضوع لقوة، فيدخل في الدين - بناء على ذلك من حيث لم يشأ المعرف - الحاجة إلى التنفس والغذاء، ولا قائل بذلك، ثم إن الدين ليس مجرد شعور مجرد عن العمل.

أو لكونها لا يمكن أن تفرق بين الدين وبين المظاهر والعادات الاجتماعية والعوائد التي يلتزمها أصحابها ويراعونها في حياهم لا عن تدين(٤٢).

أما عند علماء المسلمين والدارسين في علم الأديان منهم فالتعريفات عندهم وإن تعدَّدت إلا أنها "لم تبلغ الكثرة التي توجد في المحيط الغربي؛ نظراً لأن المحيط الإسلامي كان يتضح فيه المفهوم، ولم تكن الحاجة إلى التعريفات ملحة... إلا عندما نما تيار الميل للتحديد والتقسيم والتصنيف والتبويب"(٤٣)، ثم إن كثيراً منها يبدو متقارباً متشابهاً، وسأذكر فيما يلي أهم تعريفات الدين عند علماء المسلمين، ثم أعقب ذلك بنقد بعض الجوانب في تلك التعريفات، وصولاً إلى ما أرى أنه الأصوب في تعريف كلمة الدين.

١- الدين هو: "قول إلهي رادع للنفس، يقومها، ويمنعها من الاسترسال فيما طُبعت عليه"(٤٤).

٢- الدين هو: "وضع إلهي سائق لأولي الألباب إلى الخيرات باختيارهم المحمود"(٤٥).

٣- الدين هو: "وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول"(٤٦).

٤- الدين هو: "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات"(٤٧).

٥- الدين هو: "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل"(٤٨).

٦- الدين هو: "وضع إلهي يوحي الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم، لا كسب له فيه ولا صنع"(٤٩).

٧- الدين هو: "الطاعة الدائمة اللازمة التي صارت عادةً وخلقاً"(٥٠).

٨- الدين هو: "الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان - اعتقادٌ من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد"(٥١).

٩- الدين هو: "اسم لكل ما تُعبد به المعبود، سواء أكان هذا المعبود هو الله الحق، أم أي معبود من المعبودات سواه"(٥٢).

١٠- الدين هو: جملة النواميس التي تحدد صفات القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريقة عبادتها(٥٣).

١١- الدين هو: "الإيمان بذات إلهية جديرةٍ بالطاعة والعبادة"(٥٤).

---

(٤١) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ٣٣-٤٠؛ الإنسان والأديان لمحمد كمال جعفر ١٦-١٩، ٣٣-٣٥، ٧٥؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٢١-٣١، ومن تعريفات غير المسلمين للدين التي أوردها الدكتور محمد عبد الله دراز ما يلي:

- الدين هو: الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية.

- الدين هو: شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة.

- الدين هو: مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه.

- الدين هو: الإيمان بكائنات روحية.

- الدين هو: محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه.

- الدين هو: العبادة، والعبادة... عمل عقلي به يعترف الإنسان بقوة سامية، وعمل قلبي... يتوجه به إلى رحمة تلك القوة.

- الدين هو: توجيه الإنسان سلوكه وفقا لشعوره بصلة بين روحه وروح خفية يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها.

- الدين هو: جملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله، ومع الناس، وفي حق أنفسنا.

- الدين هو: مجموعة التورعات التي تقف حاجزا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا.

- الدين هو: مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة.

وعرف ول ديورانت الدين في قصة الحضارة ٩٨/١ بقوله: "عبادة القوى الكائنة فوق الطبيعة".

(٤٢) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ٣٣-٤٠؛ الإنسان والأديان لمحمد كمال جعفر ١٦-١٩، ٣٣-٣٥، ٧٥؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٢١-٣١.

(٤٣) الإنسان والأديان لمحمد كمال جعفر ٢٠.

(٤٤) نزهة الأعين لابن الجوزي ٢٩٥.

(٤٥) التفسير الكبير للرازي ٢٧٣/٢٩.

(٤٦) التوقيف للمناوي ٣٤٤/١ ؛ وانظر: تاج العروس للزبيدي ٥٦/٣٥.

(٤٧) كشف الأسرار لعبد العزيز البخاري ١٣/١؛ التوقيف للمناوي ٣٤٤/١؛ تاج العروس للزبيدي ٥٦/٣٥؛ حواشي الشرواني ٢١/١؛ أبجد العلوم لصديق خان ٣٣٧/٢.

(٤٨) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٣٠٥/٢.

(٤٩) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٥٧/٢.

(٥٠) جامع الرسائل لابن تيمية ٢٢٣/١؛ وانظر: الجواب الكافي لابن القيم ١٤٦.

(٥١) الدين لمحمد عبدالله دراز ٥٢.

(٥٢) الديانات والعقائد لأحمد عطار ٥٦/١.

(٥٣) انظر: الدين لمحمد دراز ٥٢.

(٥٤) المرجع نفسه.

١٢-الدين هو: اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات، ذلاً وحباً، رغبة ورهبة [٥٥].

١٣-الدين هو: "الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة حسب نواميس معينة، وقواعد محددة، ترسم طريق العبادة والطاعة لتلك الذات"[٥٦].

ومن الملاحظ أن هذه التعريفات منها ما نظر إلى الدين كفعل للمتدين المتعبد، وهو ما يمكن أن نسميه التدين، ومنها ما نظر إلى الدين من حيث كونه طريقة يسير عليها المتدين، ورابطاً بين العابد والمعبود، ودستوراً منظماً للعلاقة بينهما، ومنها -وهو آخرها- ما جمع بين الاعتبارين، وبعبارة أخرى يمكن أن نقول: إن الدِّين يُعرَّف باعتبارين، فالطريق الذي يسير عليه المتدين يسمى ديناً، وسيرُه على ذلك الطريق وفعله يسمى ديناً أيضاً.

وفي نظري أن التعريفات الستة الأولى على تشابهها وتقاربها لا تصدق إلا على الدين السماوي، مع أن النصوص الشرعية - كما سبق- قد ورد فيها إطلاق كلمة (دين) على غير الدين السماوي، فكل ما يعتقده الناس ويدينون به يسمى ديناً، ولو لم يكن سماوي المصدر[٥٧]، فيظهر أن أصحاب تلك التعريفات وضعوا في اعتبارهم وأرادوا تعريف الدين السماوي الحق، ولم يريدوا تعريف الدين مفهومه العام[٥٨]، ويمكن الاستفادة من تلك التعريفات في تعريف الدين الحق.

وأما التعريف السابع فإن من الأديان ما يدين بها أصحابها لا طاعة لمعبودهم، وإنما تعظيماً له وإجلالاً، كما هو حال عباد الأصنام والكواكب، فليست كل الأديان مبنية على الطاعة.

وأما التعريف الثامن -على طوله غير المعهود في التعريفات المبنية على الإيجاز- فإنه قد يُنتقد من جهة أنه يحصر الدين في الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية، وهو بهذا يخرج الأديان الأرضية التي يتوجه فيها المتعبدون إلى آلهة أرضية، كما قد ينتقد من جهة قصره التصرف والتدبير على ما يعني الإنسان، وقصره أثر الاعتقاد على المناجاة دون غيرها، رغم أن المفترض في الدين أن يوجه المتدين إلى طلب مرضاة معبوده، والبعد عما يسخطه في كل أقواله وأفعاله، وفي نظري أن كل متدين بدين - ولو كان باطلاً - لا يكتفي بمجرد المناجاة إلا حين يعتقد أنها بمجردها كافية في إرضاء معبوده، وإلا فإنه يحاول إرضاء معبوده بطاعته في جوانب الحياة، أو بتقديم القرابين له، أو بغير ذلك[٥٩].

والتعريفات المتبقية عليها أيضاً -في رأيي- بعض الملاحظات، إما من جهة اقتصارها على أحد الاعتبارين في تعريف الدين دون الآخر، وإما من جهة عدم توضيحها للمعرَّف، وإما من جهة اشتراطها طاعة المعبود، وقد لا يكون للمعبود في بعض الأديان أوامر ونواه، وإما من جهة عدم تقييدها جدارة المعبود بالعبادة بأنه في نظر عابديها، وإما من جهة اشتراطها قداسة الذات التي يخضع لها وحبها، مع أنه وجد من المتدينين ببعض الأديان من يعبد ما لا يقدسه ولا يحبه.

(٥٥) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف ١٠.

(٥٦) دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٣٣-٣٤.

(٥٧) انظر: الإنسان والأديان لمحمد كمال جعفر ٢١؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٣٤.

(٥٨) انظر: الإنسان والأديان لمحمد كمال جعفر ٢١.

(٥٩) انظر المرجع نفسه.

ولكل ما سبق فإنني أرى أن يعرف الدين باعتباره فعلاً للإنسان بأنه: اعتقاد وجود ذات إلهية أو أكثر، مستحقة للعبادة والخضوع والتعظيم - في نظر المعتقد- وعبادتها طاعةً لها، أو طلباً لمرضاتها ورغبة ورهبة، أو للأمرين معاً.

وأما الدين باعتباره الطريقة التي يُتدين بها فأرى أن يعرَّف بأنه: القواعد المحددة لعبادةِ ذاتٍ إلهية أو أكثر مستحقة للعبادة والخضوع في نظر المعتقد.

ولا يرِد على هذين التعريفين أنهما قصرا الدين على الشعائر التعبدية كالصلاة والسجود ونحو ذلك، وأنها لا تدخل جانب المعاملات والعلاقات الفردية والأسرية والجماعية، فإن المقصود بالعبادة في التعريفين ذلك المفهوم الشامل للعبادة الذي يُدخِل فيها كل ما يُفعل طاعة للمعبود، أو طلبا لمرضاته، فيشمل ذلك مثلا عندنا - أهلَ الإسلام - كلَّ ما أمرنا الله به في جانب الشعائر والمعاملات وأحكام الأسرة والمجتمع والاقتصاد والسياسة، أو كما قال ابن تيمية في تعريف العبادة في الإسلام: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة"[٦٠].

ولا يرِد على هذا التعريف أيضاً أنه يُدخل البدعَ التي يخترعها الناس في دين الإسلام مثلاً في مفهوم الدين الإسلامي؛ بحجة أن المبتدع يفعلها ابتغاء مرضاة الله، لا يرِد هذا على التعريف؛ لأن من ابتدع من المسلمين مثلاً شيئاً لمرضاة الله، فبدعته تسمى ديناً، لكنها دين له، وليست هي دين الإسلام، ولا جزءاً منه، وقد عُلم أن الدين بعمومه منه ما هو حق، ومنه ما هو باطل، فدين الإسلام حق، وبدع المبتدعة أديان لأصحابها، وهي أديان باطلة، والله تعالى أعلم.

وقد تبين لنا مما سبق أنه يمكن عموماً تقسيم الأديان إلى دين صحيح، وأديان باطلة[٦١]، وأن التعريف المذكور آنفاً هو تعريف عام يشمل كل ما يصح أن يطلق عليه أنه دين.

وأما الدين الحق الذي ارتضاه الله عز وجل -وهو وحده المستحق لإخلاص الدين له - فهو التسليم لله تعالى والانقياد له، وهو ملة الإسلام، وعقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين، من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين صلى الله عليهم وسلم[٦٢]، ويمكن أن نعرفه ببعض تعريفات علماء المسلمين المتقدمة التي عرَّفت الدين، وعُرِّف الدين الحق أيضاً بأنه: "طاعة الله وعبادته"[٦٣]، وبأنه: "القيامُ لله بما أمر"[٦٤] ، وبأنه: "الدين الذي نزل من عند الله سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله"[٦٥]، أو بأنه: "تعاليم إلهية من وحي الله تعالى لرسله وإرشاداتٌ من لدن العليم الخبير بنفوس العباد وطبائعهم وما يحتاجون إليه في إصلاح حالهم في المعاش والمعاد، والدنيا والآخرة"[٦٦]، ومن أحسن تعريفاته أن يقال: هو "مجموعة التعاليم والأوامر والنواهي التي يجيء بها رسول من البشر أوحى الله تعالى بها إليه"[٦٧]، وعليه فإن الدين الباطل هو

(٦٠) العبودية ١٩.

(٦١) انظر: فتح الباري لابن حجر ٢٧٢/١٢.

(٦٢) انظر: الموجز في الأديان لناصر القفاري وناصر العقل ١٠؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٣٥.

(٦٣) جامع الرسائل لابن تيمية ٢٢٣/١.

(٦٤) إعلام الموقعين لابن القيم ١٧٧/٢.

(٦٥) دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٣٥؛ وانظر: موسوعة الأديان الميسرة ٢٥٤.

(٦٦) دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٣٥.

(٦٧) المرجع نفسه.

ما لم يكن من عند الله تعالى، كما قال جل شأنه: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ}**[سورة الشورى، ٢١].

وأقول: إن سياق الكلام هو الذي يحدد ما إذا كان المراد بكلمة الدين في نص ما المعنى العام للدين، بما يشمل عامة الأديان، أو المعنى الشرعي الخاص للدين الحق(٦٨)، لكن الدين إذا أطلق "في اصطلاح أهل الإسلام والقرآن فهو الإسلام... أما سائر المذاهب فلا تسمى ديناً إلا بضربٍ من التقييد"(٦٩).

ويمكن أن ألخص فيما يلي أهم الفروق بين الدين الحق والدين الباطل:

١- **من ناحية المصدر:** فالدين الحق مصدره الوحي الإلهي من الله تعالى بواسطة الرسل، فهو حق؛ لأنه صادر من الحق جل وعلا، وأما الدين الباطل فمصدره الوضع البشري، ومن الأديان ما يكون أصل مصدره من الله إلا أنه دخله وضع البشر وتحريفهم فصار باطلاً.

٢- **من ناحية الموضوع والجوهر:** فإن الدين الحق جوهره الدعوة إلى توحيد **الله تعالى و إفراده بالعبادة والتشريع، والخضوع له، وأما الأديان الباطلة فتصرف فيها العبادة لغير الله ويشرع فيها ما لم يأذن به الله، وقد تتعدد فيها الآلهة.**

٣- من ناحية الغاية والنتيجة والثبات: **فإن الدين الحق يستهدف تعبيد الناس لإلهم الحق، وربهم وخالقهم، ويستهدف سعادة الناس وصلاح أحوالهم في الدنيا، وفلاحَهم في الآخرة، وهو دين واحد، مبادئه ثابتة لا تتغير؛ لأنه صادر** من اللطيف الخبير الذي يعلم من خلق سبحانه، وأما الأديان الباطلة فواضعوها هم البشر، الذين من أوصافهم الجهل والعجز والقصور والخطأ، ولذلك فإنها لا يمكن أن تجلب لمعتنقيها السعادة والفلاح، وهي أيضا متغيرة غير ثابتة، لأنها تحاول مجاراة المصالح الظاهرة المنظورة، وهي مختلفة باختلاف الأنظار والأزمان والأماكن(٧٠).

وأشير في ختام هذا المطلب إلى أن كثيراً من الغربيين الذين عرَّفوا الدين يحصرونه في الشعائر التعبدية فقط، ويذهبون إلى أن الدين ليس إلا عبادة ورابطة روحية شخصية وخاصة بين المعبود والإنسان، لا صلة لها بالمجتمع، ولا تؤثر في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، انطلاقاً من المفهوم الذي ينصرف إليه الذهن عندما تطلق كلمة Religion، وهي الكلمة الإنجليزية التي تقابل كلمة الدين في اللغة العربية، وانطلاقاً من الفكر العلماني السائد في الأوساط الغربية(٧١) ، وهذا يُظهر مدى الاختلاف بين مفهوم الدين في أوساط غير المسلمين، وبين مفهوم الدين بالمنظور الإسلامي الذي يرى الدين نظاماً متكاملاً شاملاً للحياة بجوانبها المتعددة، يحكم علاقة الإنسان بربه، وبنفسه، وبمجتمعه؛ لكنَّ هذا لا يعني أن المفهوم القاصر للدين هو عام عند كل الغربيين وغير المسلمين، فليسوا سواء، ولهذا وجدنا منهم من يعرِّف الدين بأنه: "جملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله، ومع الناس، وفي حق أنفسنا"(٧٢).

المبحث الثاني: نشأة الدين

الحديث في هذا المبحث يدور حول الإجابة على أسئلة هي: كيف بدأ ظهور الدين عند البشر؟ وعلى أي نحو كان؟ وهل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن فيه متديناً؟ وما هي البواعث التي تبعث الإنسان إلى التدين؟ والإجابة عن هذه الأسئلة ستكون في المطلبين الآتيين، وهما:

المطلب الأول: الباعث على التدين:

لما رأى الباحثون في العلوم الإنسانية وعلماء مقارنة الأديان التدينَ ظاهرةً عامة، لم يخل منها مجتمعٌ من المجتمعات، مع أن الدين له تبعاتٌ والتزامات كثيرة، قد تصل بالإنسان إلى أن يدفع دمه أو ماله فداءً لدينه - لما رأى الباحثون ذلك تساءلوا: ما الذي دفع الإنسان إلى التدين؟.

وكثرت الاتجاهات في الإجابة على هذا السؤال، واختلف في ذلك الباحثون اختلافاً عظيماً، ورد كل فريقٍ منهم قول غيره، وأذكر فيما يلي أبرز تلك الاتجاهات والأقوال في بيان الباعث على التدين، منتهيةً إلى بيان الحق في المسألة بدليله:

١ - دافع الظواهر الطبيعية:

ذهب بعض الباحثين إلى أن الباعث الذي دفع الإنسانَ إلى التدين هو أنَّ العقل الذي تميز به الإنسان جعله ينظر فيما حوله من مشاهد الطبيعة، ويفكر ويتأمل فيما حوله من المخلوقات، فتملكه شعور من الدهشة والإعجاب، والتعظيم لتلك الظواهر الطبيعية، ثم أخذ يبحث فيما وراء الطبيعة، وأدته اللغة المجازية التي يعبر بها عن بعض الجمادات بكونها تفعل، كقولنا: النهر يجري، والرعد يزمجر، والريح تثور، أداه ذلك مع الزمن إلى أن يحول المجاز إلى حقيقة، ويصور تلك المظاهر والعناصر الطبيعية في ذهنه صورة الكائنات الحية المفكرة، ويجعل لها أرواحاً مقدسة معظمة، ويتخذها رمزاً لأفلاكٍ متخيلةٍ متصرفةٍ في الكون، أو يجعل أرواحها آلهة متصرفة، وعن هذا الإحساس الطبيعي ممتزجاً بالتحليل اللغوي نشأ الدين(٧٣)، ويطلق على هذا الاتجاه اسم المذهب الطبيعي العادي (٧٤)، أو الاتجاه اللغوي(٧٥).

٢- الخوف من الطبيعة:

وذهب قسمٌ ثانٍ من الباحثين إلى أن الدافع إلى التدين هو خوف الإنسان من الطبيعة حوله بما فيها من ظواهر مفاجئة متغيرة، كالزلازل والبراكين والبرق والرعد والحيوانات المتوحشة، وخوفه من الموت، فدفعه خوفه وضعفه إلى تأليه قوة غيبية عاقلة يرى أنها أقوى مما حوله، وأن لها سيطرة على تلك الظواهر الكونية، وقدرة على حمايته، أو أن خوفه دفعه إلى

---

(٦٨) انظر: التبيان لمحمود حمودة ١٦: دراسات في الأديان لسعود الخلف ١٠،١٢-١٣؛ الإنسان والأديان لمحمد جعفر ٩٧ -١٠٤.

(٦٩) التفسير الكبير للرازي ٣٢/١٠٥.

(٧٠) انظر: دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٣٦ – ٣٩

(٧١) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ١٩؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ١٥-١٦.

(٧٢) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ٣٦ نقلا عن كتاب: تعاليم دينية وخلقية لميشيل مابير.

(٧٣) وممن نحا هذا المنحى "ماكس ميلر". انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١١٤-١١٥؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٣٥-١٣٨؛ دراسات في الأديان لسعود الخلف ٢٥؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي. ٥٠-٥١.

(٧٤) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١١٤؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٣٥؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥٠.

(٧٥) انظر: مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١١٨.

عبادة ما يراه من الظواهر الكونية كالشمس والقمر؛ لأنه رأى نفسه بينها ضعيفا، فرأى أنه بعبادته لها يدفع شرها عنه[٧٦].

وهذا المذهب امتداد للمذهب الأول، وهو المذهب الطبيعي، إلا أنه يخص من مظاهر الطبيعة تلك الظواهر التي سموها عنيفة أو شاذة[٧٧].

٣ - التأمل في الموت والنوم والأحلام:

ذهب قسم ثالث من الباحثين إلى أن الإنسان البدائي لما رأى الحياة المزدوجة بين يقظته ونومه، ورأى في أحلامه أشخاصاً من أسلافه قد ماتوا، يعلمونه بأمر فيكون كما أخبروا، ورأى الاختلاف بين الجسد الحي والميت، ثبت له أن هناك شيئاً مجهولاً وراء الحس، وأن في الجسم كائناً آخر، يستطيع في ظروف معينة كالنوم والموت أن يترك الجسم ويبتعد عنه، واعتقد أن للروح قوة عجيبة تستطيع الاتصال بأجسامها، وسلطاناً مباشراً على الكائنات، وأنها تؤثر عليها بالضرر والنفع، واعتقد أن في الكون أرواحاً كثيرة، فلكل حي أو جماد روح، وأن ما يصيبه من الأمراض والمصائب هو بسبب غضب تلك الأرواح عليه، وأن الإنسان يمكن أن يتصل بالأرواح عبر طقوس خاصة، فكان ذلك هو الباعث على التدين بهذه الطقوس، واتجه الإنسان بذلك أول ما اتجه إلى عبادة الأموات من أسلافه؛ لأن الموت عنده هو بداية تحول النفس إلى روح مقدسة، ثم إلى عبادة روح كل شيء يعظمه أو يخاف ضره، فالإنسان عندما يعبد حجراً أو شجراً مثلاً إنما يفعل ذلك لأنه اعتقد لتلك المعبودات أرواحاً تضر وتنفع[٧٨] ، ويطلق على هذا الرأي مسمى: المذهب الروحي، أو الحيوي[٧٩].

٤- الحاجة النفسية:

ذهب قسم رابع من الباحثين إلى أن الإنسان حين تنشأ عنده أزمة داخلية من بؤس وحرمان وضيق بآلام الحياة يلجأ إلى التدين ليمنحه شعورا بالثقة والراحة، وهذا الرأي هو المذهب النفسي[٨٠].

٥ - الحاجة الاجتماعية:

ذهب قسمٌ خامس من الباحثين إلى أن الإنسان كان وحيداً، لا علاقة له مع غيره، ثم حينما انتقل من حالة التوحد إلى حالة الاجتماع كان لا بد لهذا الاجتماع من نظم وقوانين تحفظ الحقوق، وتصون الحرمات، وهذه النظم هي الدين الذي تفتقت عنه أذهان ذوي القيادة وبثوه في الجماعات لتنظيمها، فقبلته من أجل حاجتها إليه، فالدين ناجم عن عواطف جماعية، تظهر في طقوس، وتتحقق في عبادات، ويُعبَّر عنها في شعائر[٨١]، وقد يُعبَّر عن هذا المذهب بالمذهب التوتمي؛ لأن أصحاب هذا المذهب اعتبروا التوتمية هي أقدم ديانة على الإطلاق، والتوتم هو: رمز وجدوا أن بعض العشائر في الشعوب البدائية تتخذه شعاراً مقدساً، يرمز إلى وحدتها الروحية والاجتماعية وقوتها ونظامها، وإلى جدها الذي منه تناسلت، وقد يكون هذا التوتم مشتقاً من اسم حيوان أو نبات أو كوكب أو جماد، وتعتقد العشيرة أن لها صلة قديمة بذلك الحيوان أو النبات أو غيره، إما باعتقاد حلول أرواح الآباء والأجداد في التوتم، أو باعتقاد أن بعض أفراد ذلك النوع من الحيوان أو النبات - الذي يرمز له التوتم – قد تحول إلى إنسان انحدرت منه العشيرة، وإما بالعكس، باعتقاد أن أفراد ذلك النوع من الحيوان أو النبات أو غيرهما كانوا بشراً من نفس العشيرة، ثم تحول بعض العشيرة إلى ذلك النوع من الحيوان أو النبات، وبقي بعض العشيرة في الحالة الإنسانية[٨٢].

وخلاصة المذهب التوتمي هو أن الدين إلزام أدبي يفرضه المجتمع على الأفراد، عقائد وعبادات، وأن هدف العبادة والعقيدة هو الجماعة نفسها، وأن الشعور الديني في الفرد ما هو إلا انطباع آلي لصورة الجماعة في وعيه، محوطة بهالة تقديس؛ لما للجماعة عليه من تأثيرٍ بالغٍ وفضلٍ في قوام حياته وحمايته، والذي يدل على ذلك هو أن العشائر تقوم على وحدة اللقب والرمز المقدس المشترك بينها، وهي لا تقدس الرمز لذاته، إنما لكونه تعبيراً عن الجماعة، وبهذا "يكون الاجتماع هو مبدأ التدين وغايته، وتكون الجماعة إنما تعبد نفسها من حيث لا تشعر"[٨٣].

وقريبٌ من القول بأن الحاجة الاجتماعية هي الباعث على الدين قولُ فولتير[٨٤] ومن ذهب مذهبه إن البشرية لا بد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة في حياة مادية خالصة قوامها الحرث والنحت والبناء والحدادة والنجارة قبل أن تفكر في مسائل الدينيات، وإن فكرة التأليه إنما هي من إملاءات الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء[٨٥].

و"هذه النظرة الساخرة إلى الأديان... ليست مبتكرة، وإنما هي ترديد لصدى مجون قديم، كان يتفكه به أهل السفسطة من اليونان... فقديماً زعم هولاء السوفسطائية[٨٦] أن الإنسان كان في أول نشأته يعيش بغير رادع من قانون، ولا وازع من خلق، وأنه كان لا يخضع إلا إلى القوة الباطشة... ثم كان أن وُضعت القوانين فاختفت المظاهر العلنية من هذه الفوضى البدائية، ولكن الجرائم السرية ما برحت سائدة منتشرة... فهنالك فكر بعض العباقرة

(٧٦) وممن نحا هذا المنحى لو كريتس، وهوبز، وهيوم، وجيفونس. انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٢٥-١٢٦؛ الديانات والعقائد لأحمد عطار ٣٩/١-٤٠؛ نشأة الدين للنشار ٧٣-٩٩؛ الإنسان والأديان لمحمد جعفر ٦٧-٦٨، ٧١؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٠٢-١٠٣؛ دراسات في الأديان لسعود الخلف ٢٠-٢٦؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٤.

(٧٧) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٢٥-١٢٦؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٤.

(٧٨) وهذا هو قول تيلور، وسبنسر، انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٢٧-١٣١؛ الديانات والعقائد لأحمد عطار ٤٧/١-٥٣؛ الأديان والفرق لعبد القادر شيبة الحمد ١٢-١٣؛ نشأة الدين للنشار ٣٣، ٣٨؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٣؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥١؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٣٩، ١٥٦-١٦٣.

(٧٩) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٢٧؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥١.

(٨٠) وممن قال به ساباتييه. انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٣٥-١٣٩.

(٨١) وهذا هو قول دور كايم. انظر: مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٤٠-١٤١؛ دراسات في الأديان لسعود الخلف ٢٦.

(٨٢) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت ١٠٦/١؛ الديانات والعقائد لأحمد عطار ٧٥/١-٧٦؛ نشأة الدين للنشار ٩٢، ٩٤؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٤٣-١٤٧؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٥؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥١-٥٢.

(٨٣) الدين لمحمد عبد الله دراز ١٥٣؛ وانظر: مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٤٩-١٥٠.

(٨٤) هو فرانكو ماريا أدويت، اشتهر بلقب فولتير، أديب ومؤرخ وفيلسوف فرنسي، وممن ساهم بكتاباته في تحريك الثورة ضد الكنيسة والملكية في بلاده، من كتبه: رسائل فلسفية، ت: (١٧٧٨م). انظر: موسوعة أسماء لا تنسى لياسر خالد سلامة ٢١٢-٢١٣.

(٨٥) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ٨٠؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ٩٨-٩٩، ١٢٣؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٤٥-٤٦.

(٨٦) فرقة فلسفية نشأت في اليونان، أنكرت الحسيات والبدهيات، وبنت على القياس المركب من الوهميات، واعتمدت في نشر تعاليمها على الخطابة وفن الإقناع والجدل، وأدت تعاليمها إلى التمرد على الشرائع وإلى شيوع الفوضى في الأخلاق والمقاييس، وهم ثلاثة أقسام: لا أدرية، وعنادية، وعندية. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٩٥٧/١؛ المعجم الوسيط ٢٨٢/١، ٤٣٣.

في إقناع الجماهير بأن في السماء قوة أزلية أبدية ترى كل شيء، وتسمع كلَّ شيء، وتهيمن بحكمتها على كلِّ شيء"(٨٧).

٦ - العوامل السابقة وغيرها مجتمعة:

وذهب قسمٌ آخر من الباحثين إلى أن الباعث على التدين هو أسباب مختلفة اجتمعت فدفعت الإنسان نحو الدين؛ فإن الإنسان لم يكن يفكر في بادئ الأمر في أي شيء سوى الأشياء التي تهمه مباشرة، كطعامه وشرابه، ونجاته من الحيوانات المفترسة وغيرها، ولم يكن يُعمل فكره: من أين جاء ؟ ولا: لماذا يعيش ؟ كان يخشى الظلام والصواعق والحيوانات الكبيرة، والرؤى المنامية، فكان يأتي أموراً يستجلب بها رضى الأشياء التي كان يخشاها، ويُدخل بها السرور على القوى الوهمية التي ظنها في الصخر والوحش والنهر، وكان إذا آذاه حجر أو عصا لكزها بقدمه، ظاناً فيها الحياة؛ إذ لم يكن يميز بين الكائنات الحية والجمادات، فهو في هذا كالطفل الصغير.

وأفرزت الحياة الاجتماعية في واقعه خشيةً أخرى هي الخشية من الرجل المسن، فقد نشأ الصغار في ظل ذلك الخوف، وكانت الأشياء المتصلة بالرجل المسن محظورة على الصغار، لا يلمسون رمحه، ولا يجلسون مكانه، وكان الأمهات يغذين هذا الشعور بالخوف في صغارهن، وبهذا ترسخت فكرة المحظورات والمحرمات، ثم يموت هذا المسن، لكن الخوف منه لا يزال مستمراً، بفعل العادة المستمرة، وبفعل الأحلام والكوابيس المرعبة، وكان الأفراد بعد موت الرجل المسن غير متأكدين من موته؛ لأنهم يرونه في مناماتهم، وهم يخشون ضرره وأذاه وغضبه، وفي نفس الوقت يرجون أن يتحول ضرره وأذاه إلى الأعداء دفاعاً عن حياض القبيلة.

وكان الإنسان تلم به الأمراض المعدية دون أن يعرف لها سبباً فتطور فكره إلى أن جعل لبعض الأماكن أو الأشخاص لعنات خاصة بها، وكان الناس في مخاطباتهم مع بعضهم يقوون مخاوف بعض.

ونشأت تقاليد مشتركة قوامها فكرة المحظورات، وفكرة اللعنات أو النجاسات التي لا بد لدرئها من التطهر بالقرابين.

ونشأت القرابين كذلك من فكرة أخرى هي أن البذر والزراعة كانت أهم المواسم بالنسبة للإنسان، فكان لا بد من الربط بين هذا الأمر المهم، وبين أشد الأمور روعة ووقعاً في نفس الإنسان، ألا وهو القتل، فكان يضحي بواحد من بني جنسه في بداية الموسم، وكان لا بد أن يكون الذين يتولون عملية القتل طبقة مميزة مطهرة لها نوع قداسة هي طبقة الكهنة.

ويضاف إلى ما تقدم أن الإنسان في رعيه وزراعته كان قد أدرك انبساط الأرض وعرف الاتجاهات وتأمل في النجوم ومواقعها، ولاحظ تقلبات الفصول، وهو في كل ذلك دهش يسأل عما وراء تلك الظواهر...

فمن كل ما تقدم من الأصول المركبة، "من كل هذه العوامل: من تقاليد الرجل الشيخ، ومن العواطف التي تحيط بالنساء نحو الرجال، وتحيط بالرجال نحو النساء، ومن الرغبة في الهرب من العدوى والنجس، ومن الرغبة في القوة والنجاح، ومن تقاليد التضحية في أوان البذار، ومن عدد من شبه ذلك من المعتقدات والتجارب العقلية والأفكار الخاطئة: أخذ شيءٌ مركب ينمو ويترعرع في حياة الناس، وشرع في الوقت نفسه يضمهم بعضَهم إلى بعض من الناحيتين العقلية والعاطفية في حياة وعمل مشتركين، هذا الشيء نستطيع أن نسميه (الدين) (Religion)، وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية (Religare)، ومعناها الربط، لم يكن ذلك بالشيء البسيط، ولا المنطقي، بل كان طائفةً مختلطةً معقدةً من الأفكار التي ينظر بها الناس إلى الكائنات والأرواح الآمرة والآلهة، ومن جميع ضروب (ما يجب)، و(ما لا يجب) ونمت الديانة، شأنها في ذلك شأن كل مصلحة إنسانية...

فكل هاتيك العوامل التي لاحظنا لا بد أنها قامت بنصيبها في إنتاج ذلك التطور، على أن الكتاب المختلفين ظلوا يهتمون بوجه خاص بالتشديد على واحد منها، أو على غيره، وإبراز أهميته"(٨٨).

جاء في كتاب قصة الحضارة: "تعاونت عدةُ عوامل على خلق العقيدة الدينية، فمنها الخوف من الموت، ومنها كذلك الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة، أو الأحداث التي ليس في مقدور الإنسان فهمها، ومنها الأمل في معونة الآلهة، والشكر على ما يصيب الإنسان من حظ سعيد، وكان أهم ما تعلقت به دهشتهم وما استوقف أنظارهم بسره العجيب هما الجنس والأحلام، ثم الأثر الغريب الذي تحدثه أجرام السماء في الأرض والإنسان..."(٨٩).

نقد الاتجاهات السابقة:

ولا شك أن كل هذه الأقوال والاتجاهات قد جانبت الصواب، وضلت عن سواء السبيل؛ لأنها لا تعدو أن تكون تخرصات وفروضاً باطلة، **{إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ}** [سورة الأنعام، ١١٦]، لأن الحديث عن باعثٍ ساق الإنسان إلى التدين يحتاج إلى وحي معصوم يبينه، أو إلى استقراء دقيق، ودراسة تاريخية معمقة تسبر أغوار نفوس البشر، وتكشف مشاعرهم وأحاسيسهم، في مختلف أحوالهم وظروفهم، وفي حال تعرضهم للشدة والرخاء، والفقر والغنى، ويقوم بذلك الاستقراء وتلك الدراسة باحثون خالون من المؤثرات الدينية والبيئية والثقافية، **{ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا}**[سورة الأنعام ، ١٤٨]، **{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}** [سورة النمل، ٦٤]، وأصحاب تلك الأقوال ليس معهم وحي معصوم، ولا استقراء تتوفر فيه الشروط المذكورة(٩٠).

ثم إن مما يؤكد بطلان تلك الأقوال وتهافتها أن القائلين بها تناقضوا كثيراً فيما يحكونه ويصفونه من أحوال الأمم البدائية التي عليها اعتمدوا في إثبات صحة مذاهبهم، وردَّ بعضُهم على بعض، وانتصر كل واحد لرأيه بحكمه على آراء غيره بأنها لا تصلح أن تكون دوافع دينية، ولا تكفي لنشوء عقيدة دينية:

فالقول بأن النظر في الطبيعة أدى بعقلية الإنسان إلى عبادة الجمادات كرموز عن الظواهر الطبيعية والأفلاك رد عليه مخالفوه بأن قائل هذا قد اعترف بأن من يتصور الجمادات كائنات حية مفكرة هو صاحب عقلية مريضة، أوصلها الوهم والخيال إلى الخبل والهذيان، وليست عقلية مريضة فحسب، بل هي عقلية لا دينية، لا يمكن أن تفسر بها طبيعة نشوء

(٨٧) الدين لمحمد عبد الله دراز ٨٠.

(٨٨) معالم تاريخ الإنسانية ل هـ. ج. ولز ١٠٦-١١٦.

(٨٩) لول ديورانت ١/ ١٠٠.

(٩٠) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف ٢٧.

الدين على وجه الأرض، إذ كيف يقال: إن الإنسان قد نظر في جمال الطبيعة فقاده ذلك إلى عبادة الجمادات؟! فلم لم يتجه التقديس والتعظيم أولاً إلى تلك الطبيعة وجمالها ومظاهرها وشمسها وقمرها.

وردَّ بعض مخالفي هذا الاتجاه عليه بأن النظر في المظاهر الكونية لا يمكن أن يكون باعثاً على التدين؛ لأن استمرارها على نسق واحد يجعلها أمراً مألوفاً، لا يلفت النظر ولا يبعث على التفكير(٩١).

والأصوب في الرد على هذه النظرية أن يقال: إنها مبنية على نظرة أسطورية تستنطق الجماد وتعتقد أن في جوفه روحاً عاقلة، وتلك نظرة غير دينية ولا عقلية، بل الأجدر أن يقال: إن التأمل في صفحة الكون يذكر الإنسان بأن كل هذه الموجودات لا بد لها من موجد، وما فيها من إتقان دال على حكمته وعلمه، واستحقاقه لأن يفرد بالعبادة(٩٢).

وأما القول بأن الباعث على التدين هو الخوف من الطبيعة، وأن الدين قد نشأ عن تأملات للطبيعة أثارت مشاعر وإحساسات معينة قد رد عليه مخالفوه بأن الخوف من الظواهر الطبيعية لا يصلح سبباً يدفع على التدين؛ لأن الإنسان مع الزمن يألف هذه الأشياء بتكررها على نسق واحد، ويذهب خوفه منها، ويترك التقرب إليها(٩٣)، وبأن الخوف وحده بلا رغبة لا يمكن أن يكون أساساً لنشوء العقيدة الدينية؛ لأنه يشل الإرادة، ويولد اليأس، ومن كان كذلك - خائفاً لا يظن أنه ناجٍ- فإنه لا يفكر في أن يبحث عن معين ينقذه من الخطر الذي هو فيه(٩٤) .

والقول بأن الباعث على التدين هو محاولة الإنسان الاتصال بالأرواح، أو تقديسه لها، رد عليه مخالفوه بأنه لا يكفي لنشوء عقيدة دينية؛ لأنه مبني على تجربة الحلم وتفسير خرافي لها، وتلك أوهام لا يسندها دليل، ومن الأحلام ما يكون أضغاثاً أو مجرد ذكريات، وليس شيء من ذلك يثير عقيدة التأليه، ولأن الأمم البدائية كما وُجد عندها عبادة الأسلاف، فقد وجد عندها عبادات أخرى لا علاقة لها بالأرواح، بل إن بعض الأمم لم يعرف عنها عبادتها للأسلاف أصلاً، وأيضاً فإن من عبد الأسلاف لم يعبدهم جميعا، بل عبد منهم من عرف في حياته بقوة أو فضيلة زائدة على من سواه، فسقط بذلك اعتبار الموت سبباً في تقديس الروح وتأليه الأسلاف(٩٥).

والقول بأن الباعث على التدين هو الحاجة النفسية قد رد عليه مخالفوه بأنها نظرية افتراضية، وفكرة فردية، لا يمكن تطبيقها على الديانات، فهي بعيدة كل البعد عن أن تكون فكرة عالمية عامة، في حين أن التدين كذلك(٩٦).

والقول بأن الباعث على التدين هو الحاجة الاجتماعية وتقديس التوتم الذي يرمز إلى اتحاد الجماعة والعشيرة رد عليه مخالفوه بأن التوتم لا يصلح مبدأ للعقيدة ولا باعثاً على التدين؛ لأنه ثبت من خلال الأبحاث أن من الأمم البدائية من عبدت مع التوتم غيره، ومنها من لم تعبد التوتم على الإطلاق(٩٧) ، وليس من دليل علمي على أن التوتمية كانت الديانة السائدة في بداية الإنسانية، لجميع البشر على الإطلاق، ثم إن التوتمية لا يمكن أن تسمى ديناً؛ لأنها عقائد خاصة ضيقة لا تتناول سوى الرمز التوتمي وأفراد العشيرة ونظامها، ولا تحاول الإحاطة بالكون، أو تفسير الأسئلة الملحة في نفس الإنسان حول الإله والمبدأ والمصير، وإنما تحاول تعزيز الشعار القومي عند أفراد العشيرة، واحترام نظامها، وتنمية شعور الوطنية وداعية التعاون لتحقيق ما فيه مصلحة الجماعة(٩٨)، وأيضاً فإن هذه النظرية إنما تقوم على ملاحظاتٍ وأساساتٍ مشكوكٍ فيها غير مسلَّمة، فلم يثبت أن البدائيين الذين يقدمون التوتم فعلوا ذلك تقديساً للمجتمع الذي ينتمون إليه، وإنما ذلك مجرد افتراض(٩٩)، ومن القبائل الإنسانية من لم يعرف عنها تعظيم الجماعة، بل عرف عنها تعظيم الإله الأعلى، أو الأسرة أو غيرها، فلا يمكن التسليم بهذه النظرية لذلك(١٠٠).

ولا تعدو الصياغات والتعبيرات الحديثة التي يبثها الملحدون والمتشككون في مواقع التواصل الاجتماعي، وتُطرح في المناقشات الجدلية في بعض القنوات الفضائية والقنوات الشبكية في زماننا أن تكون تكراراً أو إعادة صياغةٍ للبواعث السابقة أو بعضها، وما يدندنون به من أن الدين اختراع بشري ولدته الحاجة إلى انتظام شؤون الجماعة، أو إلى استمداد القوة، أو ولده الخوف من المجهول، أو من ظواهر الطبيعة المفزعة، أو ولده الفضول وتفكير الإنسان الدائم في تفسير ما حوله، وتطور الأمر إلى أشكال مختلفة من الديانات، كل ذلك لا يخرج عن الاتجاهات الباطلة السابقة في بيان الباعث على الدين، وإبطال تلك الاتجاهات السابقة إبطال للطروحات الحديثة لها، فلا فرق بينها سوى أن المعاصرين اليوم يبثون ذلك بين الناشئة باسم العلم والتطور البشري المادي، فيوحون إلى أوليائهم ومتابعيهم أن العلم المادي البشري اليوم قد وصل إلى مرحلة من النضج والقدرة على تفسير الظواهر الكونية والحياة الاجتماعية وتلبية الحاجات النفسية ووضع القوانين المنظمة للعلائق بما لم يعد معه بحاجةٍ إلى الإيمان بدين، ولا إله مدبر لهذا الكون، ويسوقون هذا وأمثاله تحت عناوين براقة من مثل: أنا أؤمن بالعلم، والتحرر من أغلال الدين، والوعي الحر، وغيرها، ويؤكدون على أن دين المتدين أياً كان إنما هو تطور لفكرة بدائية ولدها لدى الإنسان البدائي الأول فضوله الناشئ عن عقله، وخرافته الناشئة عن جهله، يقول أحدهم: "لا زالت أغلال الدين هي الأقوى سطوةً على العقل البشري؛ لأنها تستند إلى آلية مقدسة وتفاصيل غامضة تتلاعب بأكثر جزئيات الحياة البشرية حساسية، ألا وهي جزئية الموت المخيفة والمرعبة والغامضة بالنسبة للعقل البشري، وتحتاج إلى إرادة عقل ومنطق شجاع للتخلص منها"، ويقول آخر: "الإنسان يولد بلا جنسية، ولا

(٩١) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١١٥-١١٩، ١٢٣؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٣٩

(٩٢) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١١٦.

(٩٣) انظر المرجع نفسه ١٢٥؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٤؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥١.

(٩٤) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٢٦.

(٩٥) انظر المرجع نفسه؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٦٣-١٦٤، ١٦٨؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٤؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥١.

(٩٦) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٣٨.

(٩٧) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٥٥؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٥٢؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٥؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥٢.

(٩٨) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٥٦؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٥٣؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٥ نقلا عن نشأة الدين للنشار ١٢٦؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥٢.

(٩٩) انظر: مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٥١.

(١٠٠) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٥٥؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٥١.

دين، ولا اسم، ولا عادات، ولا تقاليد، يولد حراً، ثم يموت بتلك الأمور عبداً"(١٠١).

وتجد تلك القنوات والطروحات دعماً وتضامناً من الملحدين حول العالم، وإشهاراً ونشراً في أوساط المسلمين، لتروج على الجهلة باسم العلم والتقدم.

الحق في المسألة:

الصواب الذي لا مرية فيه هو أن الباعث على التدين ليس أمراً مكتسباً قاد الناسَ إليه خوفُهم أو جهلُهم، أو تأملُهم في طبائع الأشياء أو حاجاتُهم النفسيةُ أو الاجتماعيةُ، بل الباعث على التدين فطرةٌ في نفس كلِّ إنسان فطره الله تعالى عليها، وجبلَّةٌ جبله عليها، وهذا هو اعتقاد المسلمين الذي أخذوه من الوحي المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ "فإن القرآن والسنة نصا على أن الإنسان مفطور على الإقرار بالخالق، والعبودية له، والبراءة من الشرك"(١٠٢)، والأدلة على ذلك في نصوص الكتاب والسنة عديدة، وهي تثبت من جهةٍ كونَ الفطرة هي الباعث على الدين، وتثبت من جهة أخرى بطلان كل نظرية من النظريات التي زعمت غير ذلك، وسأذكر تلك الأدلة ثم أذكر بعدها الأدلة الاستقرائية من واقع المجتمعات.

أولاً: الأدلة النقلية من القرآن والسنة:

١- **قول** الله تعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}** [سورة الروم، ٣٠]

فهذه الآية صريحة الدلالة في أن الله تعالى فطر الناس وجبلهم على معرفته وتوحيده والميل والبعد عن الشرك، وعلى السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للاعتقادات الصحيحة، فكل الناس مفطورون على ذلك كما تفيده الألف واللام في كلمة **{النَّاس}** ، ولو تُركوا على فطرهم من غير اجتيال وإضلال لما كانوا إلا مؤمنين، فهذا هو الأصل، ومن خرج عنه فلعارضٍ عرض لفطرته فأفسدها(١٠٣)، وقوله: **{لا تبديل لخلق الله}** خبر بمعنى الإنشاء: أي: فلا تبدلوا الدين الذي خلقكم الله عليه بالكفر(١٠٤)، وقيل بل هو خبر على بابه، والمعنى: خلق الله الخلق وفطرهم على الإيمان به، ولا يمكن أحداً تغيير ذلك من نفسه وإن أنكره بلسانه(١٠٥)، كما قال الله عن فرعون وقومه: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}** [سورة النمل، ١٤]، وقيل: بلى المعنى: (لا تبديل): أي لا تفاوت بين الخلق، بل كلهم مجبولون على الفطرة المستقيمة، لا يولد مولود إلا عليها(١٠٦).

٢- قول الله جل شأنه: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِين}**[سورة الأعراف، ١٧٢]، فإن الله تعالى -كما تدل الآية الكريمة- أخذ الميثاق على كل بني آدم أنه ربهم، وفطرهم على ذلك، وجعله علماً ضرورياً، وأشهدهم عليه، فتوحيد الله واتباع دينه فطرة وجبلة قد أخذ عليهم الميثاق بها، "وإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به من أن الله وحده هو ربهم كان معهم ما يبين بطلان الشرك، وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعة من اتباع الآباء كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية"(١٠٧).

٣- قول **النبي** صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)(١٠٨)، وفي رواية: (كل مولود يولد على الفطرة...)(١٠٩)، وفي رواية: (فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه)(١١٠)، وفي رواية: (ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة)(١١١).

٤- قول النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علَّمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)(١١٢).

"فهذه الأدلة صريحة في بيان أن الإنسان مفطور على الإقرار بالخالق والعبودية له، وهذا هو التدين وذلك باعثه"(١١٣)، فاتجاه الإنسان إلى التدين أمر فطري غريزي، ليس ناتجاً عن ظروف نفسية، أو طبيعية، أو اجتماعية، غير أن هذه الفطرة قد هيأ الله لها من المنبهات والمذكرات ما يجعلها تتجه في الاتجاه الصحيح، فيعبد صاحبها الله وحده، وقد يأتي لها من المؤثرات ما يطمسها؛ فلذلك ظهر الملحدون، وقد يأتي من المؤثرات ما يضعفها ضعفاً شديداً ويحرفها عن وجهتها الصحيحة، فيتدين أصحابها بغير دين الحق، ويعبدون غير الإله الحق.

قال ابن تيمية رحمه الله: "مثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من تهود وتنصر وتمجس، مثل: حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضاً كل ذي حس سليم يحب الحلو، إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مراً، ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن

---

(١٠١) هذه العبارات وأمثالها متكررة في حسابات الإلحاديين على مواقع التواصل، ولم أعزها هنا لتلك الحسابات ابتعاداً عن الترويج لها، وإماتةً للباطل.

(١٠٢) دراسات في الأديان لسعود الخلف ٢٧؛ وانظر: العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ١١-١٣؛ موسوعة الأديان الميسرة ٢٥٤-٢٥٥.

(١٠٣) انظر: التفسير الكبير للرازي ١٠٥/٢٥؛ مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥٤/٤؛ شفاء العليل لابن القيم ٢٥٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٣/٣؛ إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦٠/٧؛ تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٦٤١.

(١٠٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٣/٣؛ وأضواء البيان للشنقيطي ٣٠٩/١.

(١٠٥) انظر: التفسير الكبير للرازي ١٠٥/٢٥؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٣/٣.

(١٠٦) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٣/٣.

(١٠٧) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٤٩١/٨؛ وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٢/٢.

(١٠٨) رواه البخاري في الجامع الصحيح (١٠٦ح١٣٥٩)؛ ومسلم في المسند الصحيح (١١٤١ح٢٦٥٨).

(١٠٩) رواه البخاري في الجامع الصحيح (١٠٨ح ١٣٨٥)؛ ومسلم في المسند الصحيح (١١٤١ح٢٦٥٨).

(١١٠) رواه مسلم في المسند الصحيح (١١٤١ح٢٦٥٨).

(١١١) رواها مسلم في المسند الصحيح (١١٤١ح٢٦٥٨).

(١١٢) رواه مسلم في المسند الصحيح (١١٧٤ح٢٨٦٥).

(١١٣) دراسات في الأديان لسعود الخلف ٢٩؛ وانظر كذلك في شرح الحديثين وبيان معناهما: شرح صحيح مسلم للنووي ٢٠٨/١٦، ١٩٧/١٧؛ مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤٣/٤، ٢٤٥؛ شفاء العليل لابن القيم ٢٨٣-٣٠٣؛ فتح الباري لابن حجر ٢٤٨/٣.

الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلماً، وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع هي فطرة الله التي فطر الناس عليها"(١١٤).

ويمكن بشيء من التأمل والتمحيصِ القول: إن بعض تلك الدوافع التي قيلت في بيان الباعث على الدين سوى الفطرة قد تكون في الحقيقة ببعض التصحيح لها منبهاتٍ للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي فطرة التدين، فلا يكون العامل النفسي، ولا النظر في الطبيعة ونحو ذلك هو الباعث على التدين، وإنما الباعث على التدين هو الفطرة المركوزة في نفس الإنسان، وتلك الأمور الأخرى هي مذكرات ومنبهات ودلائل توقظ الفطرة وتنبهها إلى الحق، ما لم يصرفها عنه صارف.

إن النصوص الشرعية تدل على أن التدين فطرةٌ في النفس، وأن دلائل الإلهية مركوزة في العقول، والنفوس، وماثلة في الأنفس والآفاق، ولكن الناس ليسوا سواء في اقتناعهم بالدلائل، ولا في تيقظ فطرهم بالمنبهات والوسائل، ولذلك تعددت منبهات الفطرة ومذكراتها بالدين الحق(١١٥) "، قال ابن تيمية رحمه الله: "... ولهذا كانت الرسل إنما تأتي بتذكير الفطرة ما هو معلوم لها، وتقويته، وإمداده، ونفي المغير للفطرة، فالرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها، لا بتغيير الفطرة وتحويلها، والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة"(١١٦)، وأبرز تلك المذكرات ما يلي:

١- النظر في آيات السماوات والأرض؛ ولهذا أمر الله تعالى بذلك فقال: **{قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}**[سورة يونس، ١٠١] ، وقال جل شأنه: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون}** [سورة البقرة، ١٦٤].

٢- النظر والتأمل في نفس الإنسان؛ قال الله تعالى: **{وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِين، وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُون}** [سورة الذاريات، ٢٠-٢١]، وقال سبحانه: **{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِق}** [سورة الطارق، ٥].

٣- إرسال الرسل وإنزال الكتب، وهذا هو أهم الأسباب لسلامة الفطرة وإيقاظها وتذكيرها وتنبيهها، قال ابن القيم رحمه الله: "الأسباب الخارجة عن الفطرة لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة من العثور بالخالق ومحبته وتعظيمه والخضوع له، وإن كان ذلك مذكراً ومحركاً ومنبهاً ومزيلاً للعارض المانع؛ ولذلك سمى الله سبحانه ما كمل به موجبات الفطرة بذكر وذكرى، وجعل رسوله مذكرا، فقال: **{ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر}**[سورة الغاشية، ٢١]، وقال: **{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ}** [سورة الأعلى، ٩]... وقال: **{ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون}** [سورة الدخان، ٥٨]، وهذا كثير في القرآن، يخبر أن كتابه ورسوله مذكر لهم بما هو مركوز في فطرهم من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله، والخضوع له، والإخلاص له، ومحبة شرعه الذي هو العدل المحض، وإيثاره على ما سواه. فالفطر مركوز فيها معرفته ومحبته، والإخلاص له، والإقرار بشرعه، وإيثاره على غيره، فهي تعرف ذلك وتشعر به مجملاً ومفصلاً بعض التفصيل، فجاءت الرسل تذكرها بذلك، وتنبهها عليه، وتفصله لها، وتبينه، وتعرّفها الأسبابَ المعارضة لموجب الفطرة، المانعة من اقتفائها أثرها، وهكذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل؛ فإما أمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإباحة طيب، وتحريم خبيث، وأمر بعدل، ونهي عن ظلم، وهذا كله مركوز في الفطرة، وكمال تفصيله وتبيينه موقوفٌ على الرسل"(١١٧).

٤- حلول المصائب ونزول الشدائد؛ فإن الفطرة قد يعرض لها ما يغطيها أيام الرخاء، فإذا أتت الشدة جلتها وأبرزتها، فيتذكر الإنسان ربه، ويدعوه وحده مخلصاً ويرجوه ليكشف كربه، ويزيل ضره(١١٨)، كما قال الله تعالى: **{وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ}** [سورة الإسراء، ٦٧].

صوارف الفطرة عن الدين الحق:

وقد دلت النصوص الشرعية الصحيحة أن هناك من المؤثرات ما يؤثر في الفطرة فيغطيها أو يحرفها عن وجهتها الصحيحة، وأبرز تلك المؤثرات ما يلي:

١- الشياطين؛ فإنها تجتال الناس عن فطرهم، وتحرفهم عنها، وتزين لهم الباطل، كما دل على ذلك قول الله عز وجل فيما أخبر به عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً).

٢- الأبوان الكافران، ومن يقوم مقامهما كالمربين والمجتمع، كما دل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه).

٣- الغفلة والهوى والاشتغال بالدنيا، ويشير إلى ذلك قوله تعالى في آية أخذ الميثاق: **{أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِين}** [سورة الأعراف، ١٧٢] (١١٩).

وعُلم مما تقدم أن الظواهر الطبيعية وما في الكون من إتقان وجمال، وما فيه من ظواهر مخيفة وشدائد، وما في نفس الإنسان من آيات، وغير ذلك، ليست هي الباعث على التدين، وإنما الباعث على التدين هو الفطرة والجبلة التي غرسها الله في الناس كلهم، وهذه الأمور المذكورة إنما هي منبهات لها ومذكرات بها، فإذا وجدت الفطرة والمذكرات بها، وخلا الإنسان عن الصوارف عنها اهتدى إلى الدين الحق، وقد يوجد عند الإنسان أصل فطرة

(١١٤) مجموع الفتاوى ٢٤٧/٤؛ وانظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ٨٧/٢.

(١١٥) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٦٥؛ موسوعة الأديان الميسرة ٢٥٥.

(١١٦) مجموع الفتاوى ٣٤٨/١٦.

(١١٧) شفاء العليل ٣٠١-٣٠٢.

(١١٨) انظر: الفطرة لعلي القرني ١٧٨-١٨٢.

(١١٩) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف ٢٩-٣٠؛ الميزان لمحمد الطهطاوي ٧٤؛ الفطرة لعلي القرني ١٨٥-٢٠٦.

التدين والتعبد التي هو مفطور عليها، ولكن تصرفها المؤثرات، بحيث تنحرف عن صرف العبادة لله، وتصرفها إلى غيره، رجاء نفع أو خوف ضر، وهذا يدلنا على أن ما ذهب إليه أصحاب الاتجاهات السابقة في ماهية الباعث على التدين ليس باعثاً على أصل التدين، وإنما قد يكون في بعض الحالات غير العامة صورة من صور انحراف الباعث الحقيقي على التدين، وهو الفطرة، والله أعلم.

ثانياً: الأدلة الاستقرائية الواقعية:

وإذا كنت قد قدمت من الأدلة الشرعية ما يدل على فطرية التدين، وأن البحث عن الدين فطرة مركوزة في النفوس، فإنه يدل على ذلك أيضاً أدلة استقرائية من واقع المجتمعات، فإن العلماء والباحثين تبينوا من خلال رحلاتهم الاستكشافية في أقطار الأرض، ومن خلال دراساتهم التاريخية أن فكرة التدين ليست فكرة اجتماعية عابرة في تاريخ البشرية، بل هي فكرة مشاعة عامة مستمرة، متأصلة في النفوس، مركوزة في الطباع، لم تخل عنها أمة من الأمم في القديم والحديث، رغم تفاوتهم في مدارج الرقي ودركات الهمجية؛ ولذلك فإنه من المستحيل أن يكون التدين إنما نشأ تسلية للإنسان من معاناته التي يقاسيها تحت وطأة الحياة الصعبة، أو تعبيراً عن عجزه عن فهم الكون والحياة، وعدم قدرته على تفسيرها تفسيرا علميا معقولا، أو تخديراً أو أفيوناً للطبقات المستضعفة، فنزوع الإنسان نحو التدين حقيقة لا يماري فيها إلا الجاهلون، وأما الجانب الأسطوري والخرافة في حياة الشعوب وما يشاهد في أشكال التعبير والممارسات التدينية الشاذة فإنه إنما يظهر حينما يعيش الإنسان حالة من الضياع والضلال عن المعبود الحق، فينشط خياله لنسج صورة الدين وفكرة الإلهية على الطريقة الجاهلية الضالة[١٢٠].

وقد جعل الله تعالى من أنفس أصحاب الأقوال الضالة أدلة على صواب القول بأن التدين باعثه الفطرة، وأن الدين غريزة فطرية في الإنسان؛ فإن من أولئك الغربيين الذين ادعوا أن الدين باعثه الخوف أو الحاجة الاجتماعية أو الطبيعة، أو أن أصل البشرية لا ديني - منهم من ناقض نفسه في كتبه فنفى تدين بعض الشعوب في موضع وأثبته في مواضع أخرى[١٢١] ، ومنهم من عاد في أواخر أمره متدينا متنسكا، خاشعا متألها، وإن كان ذلك على غير هدى مستقيم، إلا أنه يدل على أن قوة الفطرة تورق وتثمر كلما عاودها الربيع فبلل ثراها، وسقى أصولها[١٢٢]، ويدل على أن في فطرة الإنسان فراغاً لا تملؤه ثقافة ولا فلسفة، وإنما يملؤه الدين، وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ حتى تؤمن بالله وتتوجه إليه، فتحس بالهداية بعد الحيرة، والاستقرار بعد التخبط، والاطمئنان بعد القلق، كما قال ابن القيم رحمه الله: "وفي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه"[١٢٣] .

(١٢٠) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ٨٢؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٢٣-١٢٤؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٤٣، ٥٣؛ الفطرة لعلي القربي ٥٩.

(١٢١) انظر: دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٤٩-٥١.

(١٢٢) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ٩٤-٩٥؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٦٢-٦٣.

(١٢٣) مدارج السالكين ٣/١٦٤؛ وانظر: الميزان في مقارنة الأديان لمحمد الطهطاوي ٨٥.

المطلب الثاني: الأصل في الدين وبدايته:

يقصد بهذا المطلب الإجابة عن سؤال هو: على أي حال كانت البشرية أولاً؟ هل كانت متدينة؟ أم لا دينية ثم تدينت؟ وإذا كانت متدينةً فهل كانت موحِّدةً أولاً ثم طرأ عليها الشرك؟ أم أنها كانت مشركة ثم بدأت بالتطور حتى اهتدت إلى عقيدة التوحيد؟.

وأشير في بداية هذا المطلب إلى أن لأكثرِ الباحثين المسلمين في علم الأديان طريقةً للتوصل إلى إجابة هذه الأسئلة تغاير الطريقة التي اعتمدها الباحثون الغربيون ومن تبعهم وقلَّدهم من المسلمين، فبينما يرى أكثر الباحثين المسلمين أن هذه المسائل محسومة الإجابة بالوحي المعصوم الصريح، وأنه لا طريق إلى معرفة الحق فيها إلا هو؛ لأنها مسائل غيبية، يرى الباحثون الغربيون -وهذا غير مستنكر- ويتبعهم بعض المسلمين -وهذا مستهجن مستغرب- أن الطريق إلى معرفة أجوبة هذه الأسئلة هو في التنقيب عن أديان الأمم القديمة، والأممِ المعاصرة غير المتحضرة، ويَعتبر هؤلاء نهاية ما يعلمونه في القِدَم من أديان البشر، وما عليه الأمم الأشد تخلفاً من مظاهر التفكير الديني والممارسات الدينية - يعتبرون ذلك صورةً مطابقةً لما كان عليه الإنسان الأول، وأن تلك الصورة هي الأصل في الدين وبدايته[١٢٤].

ثم كان عاقبة الذين اختاروا الطريقة الثانية من الغربيين وغيرهم، أن اختلفت نتائجُهم وأجوبتُهم التي توصلوا إليها؛ لأنهم يصدرون عن أمور ظنية، لا عن حقائق ويقينيات ومسلَّمات، ولأن "المرحلة النهائية في نظر باحث معين لا تنطبق دائماً على المرحلة الأخيرة التي يصل إليها باحث آخر"[١٢٥]، وقد كان اختلافهم على قولين ومذهبين اثنين:

أحدهما: مذهب التطور التقدمي التصاعدي: وهم الذين رأوا أن الشرك كان أسبقَ في الوجود على الأرض من التوحيد، وأنَّ الدين بدأ بصورة الخرافة والوثنية، ثم أخذ الإنسان يترقى في دينه على مدى الأجيال، فمر بمرحلة تعدد الآلهة، ثم وصل إلى الكمال بالتوحيد[١٢٦] ، وذكر بعضهم أن عقيدة الإله الأحد هي عقيدةٌ حديثةٌ جداً، وأنها وليدة عقلية خاصة بالأجناس السامية[١٢٧].

وهذا القول مبني من أكثرهم على إنكار الدين الحق، وزعمهم أن الأديان كلها من صنع البشر، وزعم بعضهم أن الإنسان إنما وُجد من الطبيعة وترقى من الخلية الدقيقة إلى صورة القرد ثم تطور فصار إنساناً، ثم أخذ يبحث عن إله يعبده، فتوجه إلى عبادة الآباء والأجداد والأشجار والأحجار والحيوانات والكواكب، ثم بدأ يتطور في أحاسيسه وعقله، ويتخلى عن كثيرٍ من الآلهة التي كان يعبدها، حتى توصل في عهد الفراعنة إلى التوحيد، ولا يعني ذلك التوحيد

(١٢٤) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٦؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢١،٢٠؛ العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٦٨.

(١٢٥) الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٦-١٠٧؛ وانظر: العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٦٨-٦٩.

(١٢٦) انظر: معالم تاريخ الإنسانية ل هـ. ج. ولز ١١٥-١١٦؛ الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٧؛ الديانات والعقائد لأحمد عطار ١/٦٣-٦٤؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٢٩، ١٤٩؛ دراسات في الأديان لسعود الخلف ٣٢؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٢-٢٣؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥٢؛ العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٦٩.

(١٢٧) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٧؛ العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٦٩.

لله تعالى، وإنما يعنون به عبادة إله واحد، سواء كان رعْ الذي عده الفراعنة إلهاً، أو غيره(١٢٨).

وقد ساد هذا المذهب في أوروبا في القرن الميلادي التاسع عشر، ونادى به عدد من باحثي الأديان الغربيين(١٢٩)، وإن اختلفت وجهات نظر القائلين به في تحديد الباعث على التدين، وصورة العبادة الأولى وموضوعها(١٣٠) كما تقدم بيانه.

ويمكن أن نُدخل في هذا المذهب أيضاً أولئك الذين يرون أن البشرية كانت لا دينية أصلا، وأنها لم تفكر في مسائل الدينيات والروحانيات والتأليه إلا في وقت متأخر بإملاء من القساوسة والكهنة، أو بتزيين من العباقرة الذين حاولوا أن يقنعوا الجماهير بأن في السماء قوة أزلية تهيمن على كل شيء؛ لعلاج أمراض المجتمعات وما فشا فيها من جرائم(١٣١).

واستدل أصحاب مذهب التطور التقدمي التصاعدي بما يلي:

١- قياس الملكات والأحاسيس الروحية على القوى البدنية، والمكتسبات العقلية والتجريبية والعلوم الإنسانية، فكما أن الإنسان تطور في نموه البدني والعقلي وعلومه وصناعاته من الضعف إلى القوة، ومن الجهل إلى العلم، فكذلك تطور في ديانته من الخرافة إلى التوحيد(١٣٢).

٢- أن حفريات الآثار دلت على قدم تعدد الآلهة، وأن عقيدة التوحيد هي وليدة عقلية سامية متطورة حديثة(١٣٣).

والمذهب الثاني: مذهب القائلين بأصالة التوحيد: وهم الذين توصلوا إلى أن عقيدة الخالق الأكبر الإله الأعلى هي أقدم ديانةٍ ظهرت في البشر، وأن الوثنيات ما هي إلا أعراض طارئة، وأمراض متطفلة، بجانب عقيدة التوحيد العالمية الخالدة(١٣٤).

وقد انتصر لهذا المذهب جمهور من علماء الأجناس والأديان، وعلماء النفس(١٣٥).

واستدل أصحاب هذا المذهب بما وجدوه عند القبائل الهمجية في أستراليا وإفريقيا وأمريكا، وعند أقزام أواسط إفريقيا وجنوب شرق أستراليا، وبما ثبت لديهم من وجود عقيدة التوحيد عند الأجناس الآرية القديمة، وعند الساميين قبل الإسلام(١٣٦).

وقبل أن أبين الحق في هذه المسألة وأرد على أدلة المبطلين أود أن أبين أن ذينك المذهبين الغربيين قد جانبا الصواب في طريق الوصول إلى الإجابة عن كيفية نشأة الدين وأول ظهوره؛ فإن "محاولة حل هذه المسألة من هذا الطريق تنطوي على خطأ مزدوج في الغاية، وفي الوسيلة:

أما من حيث الغاية التي يهدف إليها البحث - وهي تحديد الأصل الأصيل للعقيدة، والمظهر الذي ظهرت به في أول الأزمنة بإطلاق - فلأن هذه المنطقة البدائية المحضة قد اعتبرها العلم شقة حراما حظرها على نفسه، وأعلن في صراحة كاملة خروجها عن حدود عمله، فاقتحامها الآن باسم العلم تعامل بصك مزيف، وتستر بثوب مستعار... ومؤرخو الديانات على الخصوص معترفون بأن الآثار الخاصة بديانة العصر الحجري وما قبله لا تزال مجهولة لنا جهلاً تاماً، فلا سبيل للخوض فيها إلا بضرب من التكهن والرجم بالغيب"(١٣٧).

فهذه القضية "ليست من شأن العلوم الاستنتاجية والاستقرائية، وإنما هي من شأن الوحي، وإخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ ذلك لأنها قضية داخلة في إطار الغيب"(١٣٨).

"وأما من حيث المنهج -وهو الاستدلال على ديانة الإنسانية الأولى بديانة الأمم المنعزلة المتخلفة عن ركب المدنية - فلأنه مبني على افتراض أن هذه الأمم كانت منذ بدايتها على الحالة التي وصل إليها بحثنا، وأنها لم تمر بها أدوار متقلبة، ولم تتصل من قريب ولا بعيد بثقافات أخرى، وهو افتراض لم يقم عليه دليل، فلا يمكن بناءً عليه أن نثبت أن تلك الشعوب لا تزال على فطرتها الأولى، بل الذي أثبته التاريخ واتفق عليه المنقبون عن آثار القرون الماضية هو أن فترات الركود والتقهقر التي سبقت مدنياتها الحاضرة كانت مسبوقة بمدنيات مزدهرة، وأن هذه المدنيات قامت بدورها على أنقاض مدنيات بائدة... في أدوار تتعاقب على البشرية... بحيث يصبح من العسير أن نحكم بصفة قاطعة من خلال التاريخ وحده بأيهما بدأت دورة الزمان، وليس تعيين أحد الأمرين للابتداء الحقيقي بأثبت تاريخياً من مقابله... فقد بان لك مبلغ ثبات

(١٢٨) انظر: معالم تاريخ الإنسانية ل هـ. ج، ولز ٥٨-١١٦؛ دراسات في الأديان لسعود الخلف ٣٢؛ دراسات في الأديان لمحمد جعفر ٨٦.

وأشير هنا إلى أن من الكتّاب المسلمين من تأثر بنظرية تطور الدين وأيدها، ومن أولئك الأستاذ عباس العقاد رحمه الله؛ فإنه ذكر في كتاب له عنوانه (الله) ٢٨، ٣٢، ٣٩ أن الإنسان ترقى في عقائده كما ترقى في علومه وصناعاته، وابتدأ بالتعدد وعبادة الظواهر الكونية، ثم مر بمرحلة التمييز والترجيح وكان آخر ذلك عبادة الشمس، ثم انتهى إلى التوحيد، وقال: "فالتطور في الديانات محقق لا شك فيه"، وقد نحت نحو العقاد أيضاً ثريا منقوش في كتابها "التوحيد في تطوره التاريخي"، وسيأتي بإذن الله بيان أدلة نظرية التطور الغربية، ثم يأتي عند ذكر أدلة المذهب الحق بيان أن العقاد وغيره حاولوا أن يستدلوا بالنصوص الشرعية على صحة آرائهم، ورد ذلك.

(١٢٩) من أمثال: سبنسر، وتيلور، وفريزر، ودور كام، وغيرهم.

(١٣٠) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٧؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥٢؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٤٩.

(١٣١) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ٨٠-٨١؛ وانظر ما تقدم من هذا البحث.

(١٣٢) انظر: معالم تاريخ الإنسانية ل هـ، ج. ولز ١١٥؛ الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٧؛ دراسات في الأديان لسعود الخلف ٣٢-٣٣؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٣؛ العقيدة نبع التربية الأحمد الحمد ٦٩.

(١٣٣) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٧؛ دراسات في الأديان لسعود الخلف ٣٣.

(١٣٤) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٧؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٣٤، النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢١؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٦٣؛ العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٦٩.

(١٣٥) ومنهم لانج، وشريدر، وبروكلمان، ولاروا، وكاتر فاج، وشميدث. انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٧-١٠٨؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٣٤؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٦٣، النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢١.

(١٣٦) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٧؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٣٤؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢١-٢٢.

(١٣٧) الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٨؛ وانظر: عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٦٤؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٢٥؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٩-٣٠؛ العقل والإلحاد لعمر النجار ١٠؛ العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٧٠.

(١٣٨) النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٣١؛ وانظر: مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٢٥، عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٦٤.

الفرض الذي بنيت عليه البحوث الحديثة كلها، وأنها أسست على جرف هار لا تطمئن عليه الأقدام"(١٣٩).

وقد ثبت بهذا بطلان الدليل الثاني من أدلة المذهب التطوري من جهة، وعدم صلاحية استدلال المذهب القائل بأصالة التوحيد بالطريقة الاستقرائية من جهة أخرى.

ولزيادة ذلك إيضاحاً أقول: إن غاية ما تدل عليه الآثار والحفريات، والصورة التي وجدت عليها الأمم المختلفة أنه وجد في الناس الشرك والتوحيد، من غير بيان أسبقية أحدهما، وهذا أمر لا ينكر، وإنما الشأن في الدليل الذي يدل على تقدم أحدهما(١٤٠).

وبقي الدليل الأول من أدلة المذهب التطوري، وهو قياس التدين على النمو البدني والعقلي والعلمي، ومن الواضح أن هذا الدليل باطل أيضا؛ لأنه قياس مع الفارق، ثم هو دليل يمكن قلبه، فيصير حجةً على أصحابه:

أما كونه قياساً مع الفارق فمن جهة أن قياس الأديان على الفنون والصناعات والعلوم إنما هو"محاولةٌ للجمع بين أمرين لا تؤلف بينهما حقيقة نوعية مشتركة، بل تتباين طبائعهما ووسائلهما، فبينما حقائق العلوم ثروة واسعة... يتطلب اقتناؤها وتنميتها علاجاً ومثابرة"(١٤١) فإن "حقيقة الدين توجد عناصرها قارَّةً بين الجوانح، وتعرض دلائلها لائحة أمام الحس، حتى إن التفاتةً سريعةً لتكفي للظفر بها"(١٤٢)، فقياس أحدهما على الآخر هو قياس لمعنوي غير محسوس على مادي محسوس، وذلك مثل من يقيس الهواء على الماء(١٤٣).

وأما كونه دليلاً يمكن قلبه على أصحابه فيقال تنزلاً: أليس معنى التطور في الفنون والعلوم هو أنها تبدأ في صورة متحدة متجانسة ثم تنتقل تدريجيا إلى نوع من التكاثر والتركيب تزداد به تعقيدا كلما بعدت عن أصلها؟ فإذا طبقنا هذا القانون التطوري على العقيدة الدينية لزم أنها سارت أيضاً من الوحدة إلى التعدد، ومن النقاوة واليسر إلى التعقيد بالإضافات الأسطورية والنزوات الخيالية(١٤٤).

ويقال أيضاً: لو كانت البشرية قد تطورت من الشرك إلى التوحيد كما تطورت علومها وصناعاتها فلِمَ نرى الشركَ فاشياً في كثير من المجتمعات اليوم، بل الإلحاد، وهي بزعمهم مجتمعات متطورة(١٤٥) ؟.

ومما يبين ضلال القائلين بأن البشرية كانت في يوم ما غير دينية، ثم ظهر الدين بعد ذلك كنتيجة لخداع العباقرة أو المتسلطين - مما يبين ضلالهم الأدلة الاستقرائية من واقع المجتمعات، والدراسات التاريخية التي أكدت أن فكرة التدين فكرة عامة في البشر، متأصلة في نفوسهم، لم تخل عنها أمة من الأمم المعروفة في القديم والحديث، رغم التفاوت في درجات التحضر(١٤٦)، و"إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليست هناك جماعة إنسانية... ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه، ودون أن تتخذ لها في هذه المسائل رأياً معيناً، حقاً أو باطلاً، يقيناً أو ظناً، تصور به القوة التي تخضع لها هذه الظواهر"(١٤٧)، أضف إلى ذلك أنه من المستحيل أن يتفق العباقرة في كل الأماكن والأزمان والقبائل على وضع أديان متشابهة، ويستحيل خضوع الجميع لهم(١٤٨).

الحق في المسألة طريقاً ونتيجة:

الطريق الموصل إلى الحق في هذه المسألة، والذي لا طريق غيره هو الوحي المعصوم الذي به شفاء القلوب، وطمأنينة النفوس(١٤٩)، والحق الذي لا محيص عنه الذي دلت عليه نصوص الكتاب العزيز الذي **{لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ}** [سورة فصلت، ٤٢]، ودلت عليه نصوص السنة المطهرة من أقوال من وصفه ربه بقوله: **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}** [سورة النجم، ٣] - الحقُّ في هذه المسألة هو أن عقيدة التوحيد الخالصة هي الأصل في حياة الناس، وأن الله تعالى فطر عباده على ذلك، وأنَّ الإنسان الأول - وهو آدم عليه السلام أبو البشر - هو نبي موحد، عبد الله تعالى وحده، وعلَّم أبناءه التوحيد، وظلت البشرية على ذلك أزمانا متطاولة بلغت عشرة قرون، وهي على التوحيد الخالص لله تعالى، ثم بعد ذلك كله ظهر الشرك في بني آدم لما انحرفت فطرهم واجتالتهم الشياطين(١٥٠).

ومن أبرز الأدلة على هذا ما يلي:

١- الأدلة الدالة على أن الله تبارك وتعالى فطر العباد على معرفته وتوحيده والإيمان به، من مثل قول الله تعالى فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عنه: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)، فهذا صريحٌ في أن الأصل في عباد الله كونهم حنفاء، أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيد، ثم اجتالتهم الشياطين فأمرتهم بالشرك، فوجه الدلالة من الحديث ظاهر بين، وذلك أنه ذكر التوحيد والميل عن الشرك أولاً ثم أعقبه باجتيال الشياطين وأمرها بالشرك، واستعمل في ذلك حرف الفاء الذي يدل على التعقيب، "وهذا صريح في أنه خلقهم على الحنيفية، وأن الشياطين اجتالتهم بعد ذلك"(١٥١)، وكل ما تقدم ذكره في المطلب السابق من الأدلة الدالة على

(١٣٩) الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٨-١٠٩ بتصرف؛ وانظر: مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٢٦؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٩-٣٠؛ العقل والإلحاد لعمر النجار ١٠، العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٧٠-٧١.

(١٤٠) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف ١٣٤؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٦٤؛ العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٧١.

(١٤١) الدين لمحمد عبد الله دراز ١١٠.

(١٤٢) المرجع نفسه.

(١٤٣) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف ٣٣.

(١٤٤) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١١١؛ العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٧٣.

(١٤٥) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف ٣٣-٣٤، النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٣٠.

(١٤٦) انظر: قصة الحضارة ل ول ديورانت ٩٩/١؛ الدين لمحمد عبد الله دراز ٨٢؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٣، ٥٣؛ موسوعة الأديان الميسرة ٢٥٤-٢٥٥؛ الفطرة لعلي القرني ٥٩.

(١٤٧) الدين لمحمد عبد الله دراز ٣٨-٣٩؛ وانظر: مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٢٨؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٥٤-٥٥.

(١٤٨) انظر: الإنسان والأديان لمحمد جعفر ٩٢.

(١٤٩) انظر: الديانات والعقائد لأحمد عطار ١١/١؛ العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٧٤-٧٥.

(١٥٠) انظر: إرشاد الثقات للشوكاني هـ؛ الديانات والعقائد لأحمد عطار ١١/١-١٥؛ الميزان لمحمد الطهطاوي ٧٤؛ دراسات في الأديان لأحمد عجيبة ٤؛ مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٢٥.

(١٥١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣٦٣/٨.

فطرية التوحيد في نفوس بني آدم وأنه ما من مولود إلا يولد عليه - كل تلك الأدلة المتقدمة هي دالة على تقدم التوحيد في حياة البشر(١٥٢).

٢- الأدلة التي وصفت آدم أبا البشر بالاصطفاء، وبينت خلقه، وتعليمه الأسماء كلها، وتوبته من المعصية، ومنها:

٣- قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ الْعَالَمِين} [سورة آل عمران، ٣٣].

٤- قوله سبحانه: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا} [سورة البقرة، ٣١].

٥- قوله جل وعلا: {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم} [سورة البقرة، ٣٧]، وقوله سبحانه عن آدم وزوجه: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين} [سورة الأعراف، ٢٣].

"فهل يخطر في بال عاقل أن يكون هذا المخلوق المكرم المعلم للأسماء كلها لم يعرف الله تعالى، وما هو واجب العبد تجاهه"(١٥٣)، وهل تقبل التوبة إلا من مؤمن موحد؟!(١٥٤).

٦- الأدلة المصرحة بأن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعة على التوحيد والحق ثم طرأ عليهم الانحراف:

وقد جاء ذلك في قول الله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ}[سورة البقرة، ٢١٣]، فإن جمهور المفسرين لهذه الآية ذهبوا إلى أن معناها أن الناس في أول البشرية - الذين كانوا بين آدم ونوح عليها السلام - كانوا على شريعة عن الحق، مجتمعين على ملة واحدة، ودين واحد، هو التوحيد، ثم وقع بعد ذلك الاختلاف في بني آدم، وهو الانحراف عن الدين والتوحيد، والوقوع في الشرك، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين(١٥٥).

واستدل الجمهور على صحة هذا التفسير للآية بما يلي:

أ- قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للآية، حيث ثبت أنها في مصحفه: {كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين}(١٥٦).

ب- قول الله تعالى في آية أخرى: {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُون} [سورة يونس، ١٩]، فإن هذه الآية تدل هي وقراءة ابن مسعود للآية الأولى على أن الناس كانوا قبل الاختلاف أمة واحدة مجتمعة، ثم حصل الاختلاف المذموم المتوعد عليه، وإذا كانوا قد اختلفوا فذُمُّوا على اختلافهم فإن ذلك دليل على أن وحدتهم واجتماعهم قبل ذلك كان أمراً محموداً، ولا يكون كذلك إلا إذا كان اجتماعاً على التوحيد(١٥٧).

وأيضاً فإن الله تعالى ذكر أنه بعث النبيين مبشرين ومنذرين بعد وقوع الاختلاف، فـ"لو كانوا قبل ذلك أمةً واحدةً في الكفر لكانت بعثة الرسل قبل هذا الاختلاف أولى؛ لأنهم لما بُعثوا عندما كان بعضهم محقاً وبعضهم مبطلاً فلأن يُبعثوا حينما كانوا كلهم مبطلين مصرين على الكفر أولى"(١٥٨).

ت- ما ثبت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما -وهو ترجمان القرآن- أنه قال في تفسير الآية: (كان بين نوحٍ وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعةٍ من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)(١٥٩)، وهذا صريحٌ في أصالة التوحيد وأوليته وسبقه، وفي أن معنى الآية هو أنهم كانوا أمة واحدة على الحق أولاً ثم حصل الاختلاف، وأما ما روي عنه رضي الله عنه أنه قال: أمةً واحدةً كفاراً فلا يثبت(١٦٠).

٧- الأدلة الدالة على أن نوحاً عليه السلام هو أول الرسل، وأن أمته هي أولى الأمم التي أُهلكت مع الأدلة الدالة على أن الله يبعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى التوحيد، ومن تلك الأدلة:

- قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَىٰ اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين} [سورة النحل، ٣٦].

- قوله تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ } [سورة الإسراء، ١٧].

- ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل أن آدم عليه السلام يقول للناس: (ائتوا نوحاً فإنه أول رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض)(١٦١).

ووجه دلالة هذه الأدلة أنه لو كان الناس قبل نوحٍ كفاراً لأرسل الله إليهم الرسل؛ ليقيم عليهم الحجة، وإنما لم يرسل إليهم رسلاً حتى كان نوح هو أول الرسل لأنهم كانوا مؤمنين على دين أبيهم آدم عليه السلام ؛ ولذلك لما ظهر الشرك في قوم نوح أرسل إليهم نوح عليه السلام ، فنجا المؤمنون به، وأُهلك الكافرون، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً}: أي كل أمة مشركة، بدليل أنه لم يبعث رسلاً في الأمم التي قبل نوح عليه السلام ؛ كما يدل له حديث: (ائتوا نوحاً فإنه أول رسولٍ)، وما ذلك إلا لأنها كانت على التوحيد(١٦٢).

---

(١٥٢) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ٨٧/٢؛ جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢٥٣، العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٨٠؛ عقيدة التوحيد لمحمد ملكاوي ٥٧؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٦٢.

(١٥٣) العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٧٥، وانظر: الديانات والعقائد لأحمد عطار ١١/١.

(١٥٤) انظر: الديانات والعقائد لأحمد عطار ١٢/١.

(١٥٥) انظر: جامع البيان للطبري ٣٣٦/٣؛ التفسير الكبير للرازي ١٠/٦-١١؛ الصفدية لابن تيمية ٣٠٧/٢؛ إغاثة اللهفان لابن القيم ٢٠٣/٢؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٥١/١؛ معارج القبول لحافظ حكمي ٥٧/١، ٤٦٠/٢-٤٦٢؛ أضواء البيان للشنقيطي ١٥٥/١.

(١٥٦) انظر: جامع البيان للطبري ٣٣٤/٢؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٦٩٦/٨.

(١٥٧) انظر: جامع البيان للطبري ٣٣٧/٢؛ التفسير الكبير للرازي ١٠/٦-١١.

(١٥٨) التفسير الكبير للرازي ١١/٦.

(١٥٩) أثر صحيح، رواه الطبري في جامع البيان (٣٣٤/٢)؛ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢٦٩٦/٨ح١٥١٨٤)؛ والحاكم في المستدرك (٥٩٦/٢ح ٤٠٠٩)، وقال: "صحيح على شرط البخاري"، وانظر تصحيحه في: إغاثة اللهفان لابن القيم ٢٠٤/٢.

(١٦٠) فهو أثر ضعيف، في سنده عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف، انظر: تهذيب الكمال للمزي ١٤٧/٢٠؛ تقريب التهذيب لابن حجر ٣٩٣؛ وانظر تضعيف الأثر في: إغاثة اللهفان لابن القيم ٢٠٤/٢.

(١٦١) رواه البخاري في الجامع الصحيح (٣٦٧ح٤٤٧٦)؛ ومسلم في المسند الصحيح (٧١٣ح١٩٣).

(١٦٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٨٠/٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص، كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان بدعة من تلقاء أنفسهم، لم ينزل الله بها كتاباً، ولا أرسل بها رسولاً، بشبهاتٍ زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة، والفلسفة الحائدة، قوم منهم زعموا أن التماثيل طلاسم الكواكب السماوية، والدرجات الفلكية، والأرواح العلوية، وقومٌ اتخذوها على صورة من كان فيهم من الأنبياء والصالحين، وقومٌ جعلوها لأجل الأرواح السفلية من الجن والشياطين، وقومٌ على مذاهب أخر، وأكثرهم لرؤسائهم مقلدون، وعن سبيل الهدى ناكبون، فابتعث الله نبيه نوحا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه"(١٦٣).

وقد بين ابن عباس رضي الله عنهما قصة أول انحراف من التوحيد إلى الشرك فقال في تفسير قول الله تعالى: **{وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}** [سورة نوح، ٢٣]: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت"(١٦٤).

وإذا كنت قد ذكرت الحق في هذه المسألة وأدلته فإني أعقب ذلك بذكر الأمور المهمة التالية:

الأمر الأول: أن العلماء العارفين بالأديان السماوية قرروا أن "الكتب السماوية متفقة على أن الجماعة الإنسانية الأولى لم تُترك وشأنها، تستلهم غرائزها وحدها بغير مرشد"(١٦٥)، بل تعهدها "نور الوحي من أول يوم، فكان أبو البشر أول المؤمنين الموحدين"(١٦٦)، و"غريب أمر الباحثين في تاريخ الأديان، كيف يُغفِلون آثار الأنبياء، ويتجاهلون كتبهم، ويتعلقون بالواهي من الأدلة ورموز الأخبار والآثار، وتزداد الغرابة وتعظم المصيبة حينما يكون الباحث مسلماً ويتابع غير المسلمين في مثل هذه الأمور التي جلَّاها الدين الإسلامي بما لا يدع مجالاً للشك..."(١٦٧).

الأمر الثاني: أنه ظهر جلياً بما تقدم من أدلة أن التوحيد متقدم على الشرك، وأن السبب في ظهور الشرك ليس ترقي الإنسان في عقيدته خلال القرون، بل سببه الانحراف عن الفطرة، وعما كان عليه آدم أبو البشر وذريته الأولى من بعده، كما يصور الله تعالى ذلك الانحراف بقوله: **{وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا}**[سورة يونس، ١٩]، وفي الجملة فإن البشرية بدأت موحدةً ثم انتقلت إلى الشرك فكان الرسل المبشرون والمنذرون يحاولون ردَّ الضالين إلى دين الحق مرة بعد مرة(١٦٨)، كما قال تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}**[سورة النحل، ٣٦].

الأمر الثالث: أن ممن تأثر من المسلمين بنظرية تطور الدين مَن حاول أن يستدل على تلك النظرية ببعض النصوص الشرعية، ومن ذلك محاولتهم الاستدلال بقول الله تعالى في قصة دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه: **{ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِين {٧٦} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّين {٧٧} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُون}** [سورة الأنعام، ٧٦-٧٨]، فهذه الآيات تدلُّ -في نظر أولئك- على أن الأديان والعبادات تطورت، وأن عبادة الشمس كانت هي المرحلة الأخيرة من ذلك التطور قبل الانتهاء إلى التوحيد(١٦٩).

ولا شك أن الاستدلال بهذه الآيات مبني على خطأ في فهمها، فإن الآية لا تعني أبداً أن إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- كان محتاراً في البداية، ضالاً عن معرفة الحق، ثم تأمل في الطبيعة فرأى الكوكب فعبده، ثم تطورت عبادته إلى القمر، فالشمس، ثم اهتدى إلى توحيد الله، بل هذا مخالف لمعنى الآية، مناقضٌ لكون إبراهيم نبياً موحى إليه معصوماً، موصوفاً من ربه بأنه **{كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِين}** [سورة النحل،١٢٠] و"غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد، وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء، وكيف يصح أن يُتوهم هذا على من عصمه الله، وآتاه رشده من قبل، وأراه ملكوته ليكون من الموقنين... وقد أخبر الله تعالى عن إبراهيم أنه قال: **{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَام}** [سورة إبراهيم، ٣٥]، وقال جل وعز: **{إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيم}** [سورة الصافات، ٨٤]، أي: لم يشرك به قط... وإنما قال: **{هَـذَا رَبِّي}** أي: على قولكم؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر، ونظير هذا قوله تعالى: **{أَيْنَ شُرَكَائِي}**[سورة النحل، ٢٧] ، وهو جل وعلا واحد لا شريك له، والمعنى: أين شركائي على قولكم"(١٧٠).

فتبين أن "الحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه، مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام"(١٧١)، وأن هذا منه كان "على سبيل الاستدراج، أو التوبيخ؛ ليبين لهم سخافتهم وجهلهم، وضعف عقولهم، في عبادتهم هذه الكواكب المخلوقة بحكمة الله عز وجل، المسخرة بقدرته، وغفلتهم عن خالقها ومسخرها والمتصرف فيها، وتركهم عبادته، أو إشراكهم معه فيها غيره"(١٧٢).

---

(١٦٣) مجموع الفتاوى ٢٨/٦٠٣-٦٠٤؛ وانظر: مدارج السالكين لابن القيم ٣/٤٤٧؛ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٣١-٣٤.

(١٦٤) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح (٤٣٣ح٤٩٢٠).

وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/٢٠٣-٢٠٥؛ معارج القبول لحافظ حكمي ٢/٤٦٠-٤٦٢.

(١٦٥) الدين لمحمد عبد الله دراز ١٠٧.

(١٦٦) المرجع نفسه ١٠٨؛ وانظر: مدخل في تاريخ الأديان لمحسن العابد ١٢٥؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٣١.

(١٦٧) العقيدة نبع التربية لأحمد الحمد ٨١ بتصرف.

(١٦٨) انظر: الدين لمحمد عبد الله دراز ١٦٤-١٦٥، النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٦١.

(١٦٩) انظر: كتاب (الله) للعقاد ٣٩-٤٠.

(١٧٠) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/٢٥-٢٦ بتصرف؛ وانظر: التسهيل لابن جزي ٢/١٤؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد الحاج ٢٧.

(١٧١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/١٥٢؛ وانظر: الإحكام لابن حزم ٥/١٧١؛ الملل والنحل للشهرستاني ٢/٥٣.

(١٧٢) معارج القبول لحافظ حكمي ٢/٤٠٤.

ثم إن الأدلة المتقدمة التي سردتها للاستدلال على أولية التوحيد في البشر وأسبقيته تدل على رد تفسير الآية بالمعنى الذي ذهب إليه المخالفون.

الخاتمة

بعد حمد الله تبارك وتعالى والثناء عليه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وبعد شكره على ما من به عليَّ من إتمام هذا البحث، فها أنا ذا ألقي عصا الترحال منتهية حيث انتهت بي مباحثه، مسجلة على وجه الاختصار أهم الثمار التي جنيتها، وأبرز النتائج والفوائد التي استفدتها خلال رحلتي معه وهي على النحو التالي:

١- عظيم حاجة الناس إلى دين يستضيئون به في كافة شؤون حياتهم ليشعروا بالاطمئنان والسكينة.

٢- أن الدين في لغة العرب له معان متعددة راجعة إلى الانقياد والذل والخضوع والطاعة.

٣- أن كلمة الدين كلمة عربية أصيلة، وليست دخيلة على اللغة العربية؛ خلافاً لمن زعم ذلك.

٤- أن كلمة الدين وتصريفاتها قد وردت في الكتاب والسنة بجملة من المعاني.

٥- أن كلمة (دين) التي تعني الملة والطريقة والشرع والمنهاج أطلقت في النصوص الشرعية في بعض الأحيان مراداً بها الدين الحق الصحيح، وأطلقت أحياناً مراداً بها الدين الباطل.

٦- تباين مفهوم الدين في الاصطلاح حسب اختلاف نظرات المعرفين وأديانهم ومذاهبهم.

٧- الدين الذي هو فعل المتدين هو: اعتقاد وجود ذات إلهية أو أكثر، مستحقةٍ للعبادة والخضوع والتعظيم -في نظر المعتقد- وعبادتها طاعةً لها، أو طلباً لمرضاتها ورغبةً ورهبةً، أو للأمرين معاً.

٨- الدين الذي هو الطريق والمنهج الذي يسير عليه المتدين هو: القواعد المحددة لعبادة ذات إلهية أو أكثر مستحقة للعبادة والخضوع في نظر المعتقد.

٩- اختلاف آراء الباحثين الغربيين ومن نحا نحوهم في بيان ماهية الباعث الذي يدفع الإنسان إلى التدين، وذلك راجع إلى بنائهم أقوالهم على التخرصات والظنون.

١٠- الحق الذي دل عليه الوحي المعصوم أن التدين أمر فطري جبلي، لا يملك الإنسان دفعه، والفطرة إذا سلمت من العوارض وجاءتها المذكرات اهتدت إلى الحق، وإن حرفتها الطوارئ عليها ضلت عن الدين الحق إلى صنوف من أديان الضلالة؛ ولذلك فإننا نجد التدين ظاهرة عامة عند كل الشعوب في كل الأماكن والأزمنة.

١١- اختلاف آراء الباحثين الغربيين ومن تبعهم في الأصل الأسبق في الدين هل هو التوحيد أم الشرك، وخطأ الفريقين في طريقة الاستدلال.

١٢- الحق أن التوحيد هو الأصل في البشرية، وأن الشرك طارئ عليها، والأنبياء أرسلوا لرد البشرية إلى الأصل الذي كانت عليه.

١٣- الأثر البالغ لتوضيح حقيقة مفهوم الدين وباعثه ونشأته في تفنيد أباطيل الملحدين المعاصرين المدعين أنه من صنع الإنسان، وبيان أن دعاويهم المسوقة باسم العلم وهي بعيدةٌ عنه ما هي إلا تكرار لضلالات أسلافهم.

وأما أبرز توصيات هذا البحث فهي:

١- العناية بإبراز نتائج هذا البحث وأمثاله بكافة الوسائل الإعلامية والتعليمية التي تبين مدى وهاء أباطيل أرباب الموجة الإلحادية المعاصرة، واستنادهم على ضلالات يكفي في بيان بطلانها اختلافها وتباينها؛ إذ لو كانت حقاً لما اختلفت، فالحق واحدٌ أبلج ووجوه الباطل كثيرة مظلمة.

٢- توسع الباحثين في الكتابة في هذا الموضوع بأبحاث تتناول جوانبه المختلفة، ولا سيما الجوانب المختلفة التي اعتبرها الباحثون الغربيين بواعث التدين، بما يوضح بناءها على جرف هار من الاستدلالات.

٣- تناول بعض كتب الغربيين التي تناولت الموضوع بالرد في رسائل وبحوث جامعية رصينة؛ فإن كتب الغربيين تقدم للقارئ صوراً حقيقية لبدائيين في مناطق مختلفة من الأرض، وتلبس الحق بالباطل، وتخلط مفاهيم كثيرة، كمفهوم السحر والموت والنبوة والقبيلة والمعجزة والجن والأرواح، وذلك بحاجةٍ إلى تجلية وبيان حقه من باطله، وعدم إيصاله للنتائج التي أرادوا.

فهرس مصادر ومراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: بقية الكتب:

[١] أبجد العلوم في بيان أحوال العلوم. صديق حسن خان القنوجي. ت: (١٣٠٧هـ). بيروت: دار الكتب العلمية. ١٣٩٨هـ.

[٢] الإحكام في أصول الأحكام. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. ت: (٤٥٦هـ). بيروت. دار الكتب العلمية.

[٣] الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة. عبد القادر شيبة الحمد. مطبوعات الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة.

[٤] إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات. محمد بن علي بن محمد الشوكاني. ت: (١٢٥٠هـ). الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. ١٤٠٤هـ.

[٥] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. أبو السعود محمد بن محمد العمادي. ت: (٩٨٢هـ). بيروت. دار إحياء التراث العربي.

[٦] أساس البلاغة. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. ت: (٥٣٨هـ). تحقيق: عبد الرحيم محمود. بيروت. دار المعرفة. ١٤٠٢هـ.

[٧] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الجكني. ت: (١٣٩٣هـ). عناية: صلاح الدين العلايلي. الطبعة الأولى. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٤١٧هـ.

[٨] إعلام الموقعين عن رب العالمين. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم. ت: (٧٥١هـ). تحقيق: عبد الرحمن الوكيل. ت: (١٣٩٠هـ). بيروت. دار إحياء التراث العربي.

[٩] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم. ت: (٧٥١هـ). تحقيق: محمد عفيفي. الطبعة الثانية. بيروت. المكتب الإسلامي. ١٤٠٩هـ.

[١٠] الله جل جلاله. عباس محمود العقاد. ت: (١٣٨٣هـ). الطبعة الرابعة. القاهرة. دار المعارف.

[١١] الإنسان والأديان دراسة ومقارنة. محمد كمال جعفر. الطبعة الأولى. الدوحة. دار الثقافة. ١٤٠٦هـ.

[١٢] بدائع الفوائد. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية. ت: (٧٥١هـ). تحقيق: محمد إبراهيم الزغلي. الطبعة الأولى. عمان. دار المعالي. ١٤٢٠هـ.

[١٣] تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد مرتضى الزبيدي. ت: (١٢٠٥ هـ). بيروت. دار مكتبة الحياة.

[١٤] التبيان في الفرق والأديان. محمود محمد حمودة. مؤسسة الوراق. عمان. الطبعة الأولى. ٢٠٠١ م.

[١٥] التسهيل لعلم التنزيل. أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي. ت: (٧٤١ هـ). ضبط وتصحيح وتخريج: محمد سالم هاشم. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. ١٤١٥هـ.

[١٦] تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير. ت: (٧٧٤ هـ). بيروت. دار الفكر. ١٤١٢هـ.

[١٧] تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين. عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن أبي حاتم. ت: (٣٢٧ هـ). تحقيق: أسعد محمد الطيب. الطبعة الثانية. مكة المكرمة-الرياض. مكتبة نزار مصطفى الباز. ١٤١٩هـ.

[١٨] التفسير الكبير. فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي. ت: (٦٠٦ هـ). الطبعة الثالثة. بيروت. دار إحياء التراث العربي.

[١٩] تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم). محمد رشيد رضا. ت: (١٣٥٤هـ). الطبعة الثانية. بيروت. دار المعرفة.

[٢٠] تقريب التهذيب. أحمد بن علي ابن حجر. ت: (٨٥٢هـ). توثيق وتصحيح: صدقي جميل العطار. وأحمد عبيد. الطبعة الأولى. بيروت. دار الفكر. ١٤١٥هـ.

[٢١] تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي. ت: (٧٤٢هـ). تحقيق: بشار عواد معروف. الطبعة الأولى. بيروت. مؤسسة الرسالة. ١٤٠٠هـ.

[٢٢] تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري. ت: (٣٧٠هـ). تحقيق: رياض بن زكي قاسم. الطبعة الأولى. بيروت. دار المعرفة. ١٤٢٢هـ.

[٢٣] التوقيف على مهمات التعاريف. محمد بن عبد الرؤوف المناوي. ت: (١٠٣١هـ). تحقيق: محمد رضوان الداية. الطبعة الأولى. بيروت. دار الفكر المعاصر. ١٤١٠هـ.

[٢٤] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ت: (١٣٧٦هـ). تقديم: عبد الله بن عقيل ومحمد العثيمين. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ١٤٢١هـ.

[٢٥] جامع البيان عن تأويل آي القرآن. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. ت: (٣١٠هـ). مكة المكرمة. دار التربية والتراث.

[٢٦] جامع الرسائل. شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. ت: (٧٢٨هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. الطبعة الثانية. القاهرة. مطبعة المدني. ١٤٠٥هـ.

[٢٧] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي. ت: (٧٩٥هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس. الطبعة الثانية. بيروت. مؤسسة الرسالة. ١٤١٢هـ.

[٢٨] الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. ت: (٦٧١هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتاب العربي. ١٤١٨هـ.

[٢٩] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. (صحيح البخاري) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. ت: (٢٥٦هـ). ضمن موسوعة الحديث الشريف. الطبعة الثالثة. الرياض. دار السلام. ١٤٢١هـ.

[٣٠] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء). أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم. ت: (٧٥١هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.

[٣١] حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج. عبد الحميد الشرواني. ت: (بعد ١٢٩٥هـ). بيروت. دار الفكر.

[٣٢] درء تعارض العقل والنقل. شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. ت: (٧٢٨ هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. الرياض. دار الكنوز الأدبية. ١٣٩١هـ.

[٣٣] دراسات في الأديان الوثنية القديمة. أحمد علي عجيبة. الطبعة الأولى. القاهرة. دار الآفاق العربية. ٢٠٠٤م.

[٣٤] دراسات في الأديان (اليهودية والنصرانية). سعود بن عبد العزيز الخلف. الطبعة الرابعة. الرياض. مكتبة أضواء السلف. ١٤٢٥هـ.

[٣٥] الديانات والعقائد في مختلف العصور. احمد عبد الغفور عطار. ت: (١٤١١ هـ). الطبعة الأولى. مكة المكرمة. ١٤٠١هـ

[٣٦] الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان). محمد بن عبد الله دراز. ت: (١٣٧٧هـ). دار القلم. الكويت. ١٤٠٠هـ.

[٣٧] شرح العقيدة الطحاوية. علي بن علي بن محمد بن أبي العز. ت: (٧٩٢هـ). تحقيق وتخريج وتعليق وتقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط. الطبعة الثالثة عشرة. بيروت. مؤسسة الرسالة. ١٤١٩هـ.

[٣٨] شرح صحيح مسلم. يحيى بن شرف النووي. ت: (٦٧٦هـ). الطبعة الأولى. القاهرة. مطبعة المدني. ١٤١٢هـ.

[٣٩] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم. ت: (٧٥١هـ). تحقيق: محمد بدر الدين. بيروت. دار الفكر. ١٤١٨هـ.

[٤٠] الصفدية. شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. ت: (٧٢٨هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. الرياض. دار الكنوز الأدبية.

[٤١] العبودية. شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. ت: (٧٢٨هـ). تحقيق: علي حسن عبد الحميد. الطبعة الثالثة. الإسماعيلية. دار الأصالة ١٤١٩هـ.

[٤٢] العقل والإلحاد. عمر لطفي النجار. الطبعة الأولى. دمشق. مكتبة المبتدأ والخبر. ١٩٩٧م.

[٤٣] عقيدة التوحيد في القرآن الكريم. محمد أحمد ملكاوي. الطبعة الأولى. الرياض. دار ابن تيمية. ١٤١٥هـ.

[٤٤] العقيدة نبع التربية. أحمد بن ناصر الحمد. الطبعة الأولى. مكة المكرمة. مكتبة التراث. ١٤٠٩هـ.

[٤٥] العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي. ت: (١٧٥هـ). تحقيق: مهدي المخزومي. وإبراهيم السامرائي. دار الهلال.

[٤٦] غريب الحديث. أبو عبيد القاسم بن سلام. ت: (٢٢٤ هـ). تحقيق: محمد عبد المعيد خان. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتاب العربي. ١٣٩٦هـ.

[٤٧] فتح الباري بشرح صحيح البخاري. أحمد بن علي ابن حجر. ت: (٨٥٢ هـ). تحقيق: عبد العزيز ابن باز. ت: (١٤٢٠هـ). وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. ت: (١٣٨٨هـ). الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. ١٤١٠هـ.

[٤٨] الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها. علي بن عبد الله القرني. الطبعة الأولى. الرياض. دار المسلم. ١٤٢٤هـ.

[٤٩] القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. ت: (٨١٧هـ). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي. الطبعة السادسة. بيروت. مؤسسة الرسالة. ١٤١٩هـ.

[٥٠] قصة الحضارة. ويل وايريل ديورانت. ت: (١٩٨١م). ترجمة: زكي نجيب محمود. بيروت. دار الجيل.

[٥١] كشاف اصطلاحات الفنون. محمد بن علي التهانوي. ت: (بعد ١١٥٨هـ). تحقيق: لطفي عبد البديع. مراجعة: أمين الخولي. القاهرة. المؤسسة المصرية العامة. ١٣٨٢هـ.

[٥٢] كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي. عبد العزيز البخاري. ت: (٧٣٠هـ). الطبعة الأولى. ضبط وتخريج: محمد المعتصم بالله. بيروت. دار الكتاب العربي. ١٤١١هـ.

[٥٣] لسان العرب. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. ت: (٧١١ هـ). تصحيح: أمين بن محمد بن عبد الوهاب. ومحمد الصادق العبيدي. الطبعة الأولى. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ومؤسسة التاريخ العربي. ١٤١٦هـ.

[٥٤] مجموع الفتاوى. شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. ت: (٧٢٨هـ). جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي. ت: (١٣٩٢هـ) وابنه محمد. ت: (١٤٢١هـ). الرياض. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ١٤١٦هـ.

[٥٥] المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل ابن سيده. ت: (٤٥٨ هـ). الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. ٢٠٠٠م.

[٥٦] مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. ت: (بعد ٦٦٦هـ). بيروت. مكتبة لبنان. ١٩٩٦م.

[٥٧] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم. ت: (٧٥١هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي. الطبعة الثانية. بيروت. دار الكتاب العربي. ١٣٩٣هـ.

[٥٨] مدخل في تاريخ الأديان. محسن العابد. سوسة. دار الكتاب.

[٥٩] المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. ت: (٤٠٥ هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١١هـ.

[٦٠] المسند. الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. ت: (٢٤١ هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. وعادل مرشد. ومحمد نعيم العرقسوسي. وإبراهيم الزيبق. وعامر غضبان. وهيثم عبد الغفور. الطبعة الأولى. بيروت. مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ.

[٦١] المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. (صحيح مسلم). أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. ت: (٢٦١هـ). ضمن موسوعة الحديث الشريف. الطبعة الثالثة. الرياض. دار السلام. ١٤٢١هـ.

[٦٢] مشارق الأنوار على صحاح الآثار. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي. ت: (٥٤٤هـ). تحقيق: البلعمشي أحمد يكن. الرباط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ١٤٠٣هـ.

[٦٣] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. أحمد بن محمد بن علي الفيومي. ت: (٧٧٠هـ).الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. ١٤١٤هـ.

[٦٤] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد. حافظ بن أحمد حكمي. ت: (١٣٧٧هـ). الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. ١٤٠٣هـ.

[٦٥] معالم التنزيل. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. ت: (٥١٦هـ). تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار. الطبعة الأولى. بيروت. دار المعرفة. ١٤٠٦هـ.

[٦٦] معالم تاريخ الإنسانية. هربرت جورج ولز. ت: (١٩٤٦م). تعريب: عبد العزيز توفيق جاويد. الطبعة الأولى. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٩٤٧م.

[٦٧] معجم المؤلفين المعاصرين. محمد خير رمضان يوسف. الرياض. مطبوعات مكتبة الملك فهد. ١٤٢٥هـ.

[٦٨] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي. ت: (١٣٨٨هـ). الطبعة الرابعة. بيروت. دار المعرفة. ١٤١٤هـ.

[٦٩] المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار. القاهرة. مجمع اللغة العربية. دار الدعوة.

[٧٠] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم. ت: (٧٥١هـ). بيروت. دار الكتب العلمية.

[٧١] المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. ت: (٥٠٢هـ). تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني. الطبعة الأولى. بيروت. دار المعرفة. ١٤١٨هـ.

[٧٢] مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. ت: (٣٩٥هـ). تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. بيروت. دار الجيل. ١٤٢٠هـ.

[٧٣] الملل والنحل. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. ت: (٥٤٨هـ). تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور. الطبعة السابعة. بيروت. دار المعرفة. ١٤١٩هـ.

[٧٤] الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة. ناصر القفاري وناصر العقل. دار الصميعي. الرياض. الطبعة الأولى. ١٤١٣هـ.

[٧٥] موسوعة أسماء لا تنسى. ياسر خالد سلامة. الطبعة الأولى. عمان. دار صفاء ١٤٢٣هـ.

[٧٦] موسوعة الأديان الميسرة. إدارة أحمد راتب عمروش. الطبعة الأولى. بيروت: دار النفائس ١٤٢٢هـ.

[٧٧] الميزان في مقارنة الأديان. محمد عزت الطهطاوي. دار القلم. دمشق. الطبعة الأولى. ١٤١٣هـ.

[٧٨] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي. ت: (٥٩٧هـ). تحقيق: محمد الراضي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ.

[٧٩] نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة. علي سامي النشار. ت: (١٤٠٠هـ). دار نشر الثقافة. الإسكندرية. ١٣٦٨هـ.

[٨٠] النصرانية من التوحيد إلى التثليث. محمد أحمد الحاج. دار القلم. دمشق. الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

[٨١] النهاية في غريب الحديث والأثر. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير. ت: (٦٠٦ هـ). تخريج وتعليق: صلاح محمد عويضة. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. ١٤١٨هـ.

List of Sources and References

[82] 'alqara'an alkareem

[83] baqya alkatb:

[84] 'abjd al'aloum fee bayaan 'ahwaal al'aloum. sadq hasn khaan alqanoujee. ta:

[85] bayrout: daar alkatb al'almya.

[86] al'ihkaam fee 'asoul al'ahkaam. 'abou mahmd 'alee ban 'ahmd ban sa'eed ban haz). bayrout. daar alkatb al'almya.

[87] al'adyaan walfarq walmazhaahb alma'asra. 'abd alqaadr shayba alhamd. matbou'at aljaam'a al'islaamya. almadeena almanoura.

[88] 'irshaad aththaqaat 'ilaa atfaaq ashsharaa'i' 'alaa attawheed walma'ad wannabwaat. mahmd ban 'alee ban mahmd ashshawkaanee. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alkatb al'almya.

[89] 'irshaad al'aql assaleem 'ilaa mazaayaa alqara'an alkareem. 'abou assa'oud mahmd ban mahmd al'amaadee. bayrout. daar 'ihyaa' attaraath al'arbee.

[90] 'asaas albalaagha. 'abou alqaasm mahmoud ban 'amr azzamkhshree. tahqeeq: 'abd arraheem mahmoud. bayrout. daar alma'rfa.

[91] 'adwaa' albayaan fee eadaah alqara'an baalqra'an. mahmd al'ameen ban mahmd almakhtaar ashshanqeetee aljaknee. 'anaaya: salaah addayn al'alaaylee. attab'a al'awlaa. bayrout: daar 'ihyaa' attaraath.

[92] 'i'laam almawq'n 'an rab al'aalmeen. 'abou 'abd Allah shams addayn mahmd ban 'abee bakr alma'rouf baabn alqaym. tahqeeq: 'abd arrahmn alwakeel. bayrout. daar 'ihyaa' attaraath al'arbee.

[93] 'ighaatha allahfaan man masaayd ashshaytaan. 'abou 'abd Allah shams addayn mahmd ban 'abee bakr alma'rouf baabn alqaym. tahqq: mahmd 'afeefee. attab'a aththaanya. bayrout. almaktb al'islaamee.

[94] Allah jal jalaalh. 'abaas mahmoud al'aqaad. attab'a arraab'a. alqaahra. daar alma'arf.

[95] al'insaan waala'dyaan daraasa wamqaarna. mahmd kamaal ja'fr. attab'a al'awlaa. addawha. daar aththaqaafa.

[96] badaa'i' alfawaa'id. 'abou 'abd Allah shams addayn mahmd ban 'abee bakr alma'rouf baabn qaym aljawzya. tahqeeq: mahmd 'ibraaheem azzaghlee. attab'a al'awlaa. 'amaan. daar alma'alee.

[97] taaj al'arous man jawaahr alqaamous. mahmd ban mahmd martdaa azzabeedee. barout. daar maktba alhayaa.

[98] attabyaan fee alfarq waala'dyaan. mahmoud mahmd hamouda. ma'ssa alwaraaq. 'amaan. attab'a al'awlaa

[99] attasheel la'lm attanzeel. 'abou alqaasm mahmd ban 'ahmd ban jazee alkalbee. dabt wacheeh watkhrj: mahmd saalm haashm. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alkatb al'almya.

[100] tafseer alqara'an al'adheem. 'abou alfadaa' 'ismaa'eel ban 'amr abn thar. bayrout. daar alfakr.

[101] tafseer alqara'an al'adheem masndaa 'an rasoul Allah ▯ wassahaaba wattaab'een. 'abd arrahmn ban mahmd alma'rouf baabn 'abee haatm. tahqeeq: 'as'd mahmd attayb. attab'a aththaanya. maka almakrma-arrayaad.

[102] attafseer alkabeer. fakhr addayn mahmd ban 'amr ban haseen arraazee. attab'a aththaaltha. bayrout. daar 'ihyaa' attaraath al'arbee.

[103] tafseer almanaar (tafseer alqara'an alham). mahmd rasheed radaa. attab'a aththaanya. bayrout. daar alma'rfa.

[104] taqreeb attahzheeb. 'ahmd ban 'alee abn hajr. tawthىq wacheeh: sadqee jameel al'ataar. wa'hmd 'abeed. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alfakr.

[105] tahzheeb alkamaal fee 'asmaa' arrajaal. jamaal addayn 'abou alhajaaj yawsf almazee. tahqq: bashaar 'awaad ma'rouf. attab'a al'awlaa. bayrout. ma'ssa arrasaala.

[106] tahzheeb allagha. 'abou mansour mahmd ban 'ahmd al'azhree. tahqq: raىaad ban zakee qaasm. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alma'rfa.

[107] attawqeef 'alaa mahmaat atta'areef. mahmd ban 'abd arra'ouf almanaawee. tahqeeq: mahmd radwaan addaaya. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alfakr alma'asr.

[108] tayseer alkareem arrahmn fee tafseer kalaam almanaan. 'abd arrahmn ban naasr assa'dee. taqdeem: 'abd Allah ban 'aqeel wamhmd al'atheemeen. tahqeeq: 'abd arrahmn ban ma'laa allaweehq.wazaara ashsha'oun al'islaamya waala'wqaaf wadda'wa waali'irshaad.

[109] jaam' albayaan 'an ta'weel 'aay alqara'an. 'abou ja'fr mahmd ban jareer attabree. ma almakrma. daar attarbya wattaraath.

[110] jaam' arrasaa'il. shaykh al'islaam 'ahmd ban 'abd alhaleem abn taymya. tahqeeq: mahmd rashaad saalm. attab'a aththaanya. alqaahra. matb'a almadnee.

[111] aljaam' assaheeh almakhtsr man assann banql al'adl 'an al'adl 'an rasoul Allah ▯ (saheeh maslm). 'abou alhaseen maslm ban alhajaaj alqasheeree annaysaabouree. damn mawsou'a alhadeeth ashshareef. attab'a aththaaltha

[112] jaam' al'aloum walhakm fee sharh khamseen hadeethan man jawaam' alkalm. 'abou alfarj 'abd arrahmn ban shahaab addayn abn rajb alhanblee. tahqeeq: sha'eeb al'arnaa'out wa'ibraaheem baajs. attab'a aththaanya. Bayrout

[113] aljaam' la'hkaam alqara'an. 'abou 'abd Allah mahmd ban 'ah aljawaab alkaafee lamn sa'l 'an addawaa' ashshaafee (addaa' waddawaa'). 'abou 'abd Allah shams addayn mahmd ban 'abee bar alma'rouf baabn alqaym. bayrout: daar alkatb al'almya.

[114] md alqartbee. tahqeeq: 'abd arrazaaq almahdee. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alkataab al'arbee.

[115] hawaashee ashsharwaanee 'alaa tahfa almahtaaj bashrh almanhaaj. 'abd alhameed ashsharwaanee. bayrout. daar alfakr.

[116] dar' ta'ard al'aql wannaql. shaykh al'islaam 'ahmd ban 'abd alhaleem abn taymya. tahqeeq: mahmd rashaad saalm. arrayaad. daar alkanouz al'adbya.

[117] daraasaat fee al'adyaan alwathnya alqadeema. 'ahmd 'alee 'ajeeba. attab'a al'awlaa. alqaahra. daar al'aafaaq al'arbya.

[118] daraasaat fee al'adyaan (alyahoudya wannasraanya). sa'oud ban 'abd al'azeez alkhalf. attab'a arraab'a. arrayaad. maktba 'adwaa' assalf.

[119] addayaanaat wal'aqaa'id fee makhtlf al'asour. ahmd 'abd alghafour 'ataar. attab'a al'awlaa. maka almakrma.

[120] addayn (bahouth mamhda ladraasa taareekh al'adyaan). mahmd ban 'abd Allah daraaz. daar alqalm. alkaweet.

[121] sharh al'aqeeda attahaawya. 'alee ban 'alee ban mahmd ban 'abee al'az. tahqq watkhrj wat'leeq watqdeem: 'abd Allah ban 'abd almahsn attarkee wash'eeb al'arnu'out. attab'a aththaaltha 'ashra. bayrout.

[122] sharh saheeh maslm. 'abou zaraa yahyaa ban sharf annawwee. attab'a al'awlaa. alqaahra. matb'a almadnee.

[123] shafaa' al'aleel fee masaa'il alqadaa' walqadr walhakma watta'leel. 'abou 'abd Allah shams addayn mahmd ban 'abee bakr alma'rouf baabn alqaym. tahqeeq: mahmd badr addayn. bayrout. daar alfakr.

[124] assafdya. shaykh al'islaam 'ahmd ban 'abd alhaleem abn taymya. tahqeeq: mahmd rashaad saalm. arrayaad. daar alkanouz al'adbya.

[125] al'aboudya. shaykh al'islaam 'ahmd ban 'abd alhaleem abn taymya. tahqeeq: 'alee hasn 'abd alhameed. attab'a aththaaltha. al'ismaa'eelya. daar al'asaala.

[126] al'aql waali'ilhaad. 'amr latfee annajaar. attab'a al'awlaa. damshq. maktba almabtda' walkhabr.

[127] 'aqeeda attawheed fee alqara'an alkareem. mahmd 'ahmd malkaawee. attab'a al'awlaa. arrayaad. daar abn taymya.

[128] al'aqeeda nab' attarbya. 'ahmd ban naasr alhamd. attab'a al'awlaa. maka almakrma. maktba attaraath.

[129] al'ayn. alkhaleel ban 'ahmd alfaraaheedee. tahqeeq: mahdee almakhzoumee. wa'ibraaheem assaamraa'ee. daar alhalaal.

[130] ghareeb alhadeeth. 'abou 'abeed alqaasm ban salaam. tahqeeq: mahmd 'abd alma'eed khaan. attab'a al'awlaa. barout. daar alkataab al'arbee.

[131] fath albaaree bashrh saheeh albakhaaree. 'ahmd ban 'alee abn hajr. tahqeeq: 'abd al'azeez abn baaz. watrqeem: mahmd fa'ad 'abd albaaqee. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alkatb al'almya

[132] alfatra haqeeqthaa wamzhaahb annaas fayhaa. 'alee ban 'abd Allah alqarnee. attab'a al'awlaa. arrayaad. daar almaslm.

[133] alqaamous almaheet. majd addayn mahmd ban ya'qoub alfayrouza'abaadee. tahqeeq: matb tahqeeq attaraath fee ma'ssa arrasaala ba'ishraaf: mahmd na'm al'arqsousee. attab'a assaadsa. bayrout. ma'ssa arrasaala.

[134] qasa alhadaara. wayl wayreel dayouraant. tarjma: zakee najeeb mahmoud. bayrout. daar aljayl.

[135] kashaaf astlaahaat alfanoun. mahmd ban 'alee attahaanwee. tahqeeq: latfee 'abd albadee'. maraaj'a: 'ameen alkhawlee. alqaahra. alma'ssa almasrya al'aama.

[136] kashf al'asraar 'an 'asoul fakhr al'islaam albazdwee. 'abd al'azeez albakhaaree. attab'a al'awlaa. dabt watkhreej: mahmd alma'tsm baalllah. bayrout. daar alkataab al'arbee.

[137] lasaan al'arb. jamaal addayn mahmd ban makrm abn mandhour. tasheeh: 'ameen ban mahmd ban 'abd alwahaab. wamhmd assaadq al'abeedee. attab'a al'awlaa. bayrout. daar 'ihyaa' attaraath al'arbee.

[138] majmou' alfataaw. shaykh al'islaam 'ahmd ban 'abd alhaleem abn taymya. jam' watrtb: 'abd arrahmn ban mahmd ban qaasm annajdee. wabnh mahmd. arrayaad. wazaara ashsha'oun al'islaamya waala'wqaaf wadda'wa

[139] almahkm walmaheet al'a'dhm. 'alee ban 'ismaa'eel abn saydh. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alkatb al'almya.

[140] makhtaar assahaah. mahmd ban 'abee bakr ban 'abd alqaadr arraazee. bayrout. maktba labnaan.

[141] madaarj assaalkeen bayn manaazl 'iyaak na'bd wa'iyaak nast'een. 'abou 'abd Allah shams addayn mahmd ban 'abee bakr alma'rouf baabn alqaym. tahqeeq: mahmd haamd alfaqee. attab'a aththaanya. bayrout.

[142] madkhl fee taareekh al'adyaan. mahsn al'aabd. sawsa. daar alkataab.

[143] almastdrk 'alaa assaheeheen. mahmd ban 'abd Allah alhaakm annaysaabouree.: mastfaa 'abd alqaadr 'ataa. attab'a al'awlaa. bayrout: daar atb al'almya.

[144] almasnd. al'imaam 'ahmd ban mahmd ban hanbl. tahqeeq: sha'eeb al'arnu'out. wa'adl marshd. wamhmd na'm al'arqsousee. wa'ibraaheem azzaybq. wa'amr ghadbaan. waheethm 'abd alghafour. attab'a al'awlaa. bayrout.

[145] mashaarq al'anwaar 'alaa sahaah al'aathaar. 'abou alfadl 'ayaad ban maws ban 'ayaad alyahsbee. tahqq: albal'mshee 'ahmd yakn. arrabaat. wazaara al'awqaaf washshu'oun al'islaamya.

[146] almasbaah almaneer fee ghareeb ashsharh alkabeer lalraaf'ee. 'ahmd ban mahmd ban 'alee alfayoumee. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alkatb al'almya.

[147] ma'arj alqaboul bashrh salm alwasoul 'ilaa 'alm al'asoul fee attawheed. haafdh ban 'ahmd hakmee. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alkatb al'almya.

[148] ma'alm attanzeel. 'abou mahmd alhaseen ban mas'oud albaghwee. tahqeeq: khaald 'abd arrahmn al'ak wamrwaan sawaar. attab'a al'awlaa. barout. daar alma'rfa.

[149] ma'alm taareekh al'insaanya. harbrt jawrj walz. ta'reeb: 'abd al'azeez tawfeeq jaaweed. attab'a al'awlaa. alqaahra. matb'a lajna atta'leef wattarjma wannashr

[150] ma'jm alma'lfeen alma'asreen. mahmd khayr ramdaan yawsf. arrayaad. matbou'at maktba almalk fahd

[151] alma'jm almafhrs la'lfaadh alqara'an alkareem. mahmd fa'ad 'abd albaaqee. attab'a arraab'a. bayrout. daar alma'rfa.

[152] alma'jm alwaseet. 'ibraaheem mastfaa wa'hmd azzayaat wahaamd 'abd alqaadr wamhmd annajaar. alqaahra. majm' allagha al'arbya. daar adda'wa.

[153] maftaah daar assa'ada wamnshour walaaya al'alm waali'iraada. 'abou 'abd Allah shams addayn mahmd ban 'abee bakr alma'rouf baabn alqaym . barout. daar alkatb al'almya.

[154] almafrdaat fee ghareeb alqara'an. 'abou alqaasm alhaseen ban mahmd arraaghb al'asfhaanee. tahqeeq wadbt: mahmd khaleel 'aytaanee. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alma'rfa.

[155] maqaas allagha. 'abou alhaseen 'ahmd ban fars ban zaraa. tahqq wadbt: 'abd assalaam mahmd haaroun. bayrout. daar aljayl.

[156] almall wannahl. 'abou alfath mahmd ban 'abd alkareem ashshahrstaanee. tahqq: 'amr 'alee mahnaa wa'lee hasn fa'our. attab'a assaab'a. bayrout. daar alma'rfa.

[157] almawjz fee al'adyaan walmazhaahb alma'asra. naasr alqafaaree wanaasr al'aql. daar assamee'ee. arrayaad. attab'a al'awlaa.

[158] mawsou'a 'asmaa' laa tansaa. yaasr khaald salaama. attab'a al'awlaa. 'amaan. daar safaa'

[159] mawsou'a al'adyaan almaysra. 'idaara 'ahmd raatb 'amroush. attab'a al'awlaa. bayrout: daar annafaa'is

[160] almayzaan fee maqaarna al'adyaan. mahmd 'azt attahtaawee. daar alqalm. damshq. attab'a al'awlaa.

[161] nazha al'a'een annawaadhr fee 'alm alwajouh wannadhaa'ir. 'abou alfarj 'abd arrahmn abn aljawzee. tahqeeq: mahmd arraadee. ma'ssa arrasaala. bayrout. attab'a al'awlaa

[162] nasha'a addayn annadhryaat attatourya walmu'lha. 'alee saamee annashaar. nashr aththaqaafa. al'iskndrya.

[163] annasraanya man attawheed 'ilaa attathleeth. mahmd 'ahmd alhaaj. daar alqalm. damshq. attab'a aththaanya

[164] annahaaya fee ghareeb alhadeeth waala'thr. majd addayn 'abou assa'adaat almabaark ban mahmd abn al'atheer. takhreej wat'leeq: salaah mahmd 'aweeda. attab'a al'awlaa. bayrout. daar alkatb al'almya.